سيدة سوريا

شهرية مستقلة تعنى بالمرأة السورية
تصدر عن المركز السوري للصحافة والنشر

شباط ٢٠١٤ / العدد (٢)

مفهوم الجندر

الدراما السورية تبحث عن هوية جديدة

عن الجسد في ثقافة الاحتجاج العربية

رسائل من سوريا أو دحض الرواية الإيرانية الرسمية

لقاءات

د. أحمد طعمة رئيس الحكومة المؤقتة

عالية منصور عضو الائتلاف

تحقيق: سوريات يتقن أعمالاً لم يعرفنها

العناوين:

افتتاحية

السوريات يواجهن الحياة التي فرضت عليهن
نساء يتقنّ أعمالاً لم يعرفنها.
تحقيق محمود الدرويش

مدنيو حمص المحاصرة بين رحى الاعتقال والجوع
ومصير أكثر من مئتي نازح لا يزال مجهولاً ..

ارتفاع الأسعار في المناطق المحررة..
هل انقلبت الضحية إلى جلاد؟

أكيد بكرة أحلى..
د. هند قبوات

المرأة وامتحان مرحلة التغيير في سوريا
المرأة الكردية كمغير
خوشمان قادو

المشاركة السياسية وتمكين المرأة اقتصادياً في الدول الخارجة من صراع - (٢/ ٢)
د. إنعام شرف

سوريا
وطن تساهم المرأة في تحريره وبنائه.

وجوه..
معرض في اسطنبول لهبة عيزوق

لقاء مع عالية منصور

مفهوم الجندر.. مية الرحبي

جرائم الحرب والإبادة الجماعية
انتهاك لميثاق الأمم المتحدة والقانون الإنساني الدولي
المحامية: أ.ملك قاسم
المحكمة الجنائية الدولية محكمة جرائم الحرب

الأطفال.. من شرارة الثورة إلى تقديم الدليل القاطع على جرائم حرب يقترفها النظام
سحر حويجة

رزان... ياسين الحاج صالح

شهادة معتقلة.. لبنى زاعور

ماري كولفن وريمي أوشليك عامان على التضحية

حملة التلقيح ضد شلل الأطفال في المناطق المحررة تبدأ جولتها الثالثة

سيدة سوريا تلتقي رئيس الحكومة المؤقتة
د. أحمد طعمة

أثر العنف والحرب على الأطفال
كوثر جودت سعيد

من نص اتفاقية حقوق الطفل

تسالي

الدراما السورية تبحث عن هوية جديدة
رعد شاهين

من مواطنة سورية إلى «أخت» في «دولة العراق والشام»
يوسف شيخو

عن الجسد في ثقافة الاحتجاج العربية
صوت المستور، صوت المتعري..
علي سفر

رسائل من سورية ...
بيسان الشيخ

على مشارف آذار.. غالية قباني

التربيَة البعثيَّة.. غسان مرتضى

السيداو

ذاكرةٌ مُثقلةٌ بالحَرب
بيروز بريك

أدب
تفاصيل عابرة.. سمر علوش
الترحال.. هيفارون شريف
خيط الشمعة.. أيمن الأحمد
مكتب الرئيس.. علاء الدين زيات

الصفحة الأخيرة: عمل برونز لروناك أحمد.

سيدة سوريا

رئيس التحرير:
محمد ملاك

مدير التحرير:
ياسمين مرعي

مدير علاقات عامة وترجمة:
د. إنعام شرف

سكرتير تحرير:
مراد عيد

الإيميل:
saiedetsuria@gmail.com

الفيس بوك:
saiedet suria

المكتب الرئيسي:
تركيا - غازي عينتاب
ت: ٠٠٩٠٥٥٣٣٦٧٩٥٢٨
٠٠٩٠٥٤٣٥٣٢٢٩٧١
٠٠٩٠٥٣٤٧٣٦٢٤٥٨

السعر خارج سوريا: (٥) يورو
توزع مجاناً داخل الأراضي السورية

افتتاحية

في اللاذقية في قرية عين العروس، خرجت مظاهرة في تشييع عشرة قتلى ضباطاً وجنوداً من أبناء القرية، كانوا قد قتلوا في غوطة دمشق، وصلت جثامينهم دفعةً واحدة ما أثار غضب أهلهم الذين هتفوا في تظاهرتهم، (العلوي بالقبر وبشار بالقصر)، ما استدعى من مفرزة الأمن العسكري أن تفرق المظاهرة بالقوة.

ربما بلغ عدد القتلى السوريين من الطائفة العلوية في حرب آل الأسد على السوريين جميعاً، أكثر من ستين ألفاً من خيرة شبان الطائفة ورجالها المعوّل عليهم، لم تنجُ قريةٌ وربما أسرةٌ من خسارة قتلى ومصابين، ما يخلف عشرات آلاف الأسر الجريحة، أمهات فقدن أبناءهن، نساء فقدن أزواجهن، فتيات فقدن أخاً أو أباً.

في الجهة الأخرى أكثر من ثلاث مئة ألف قتيل، مئات آلاف الجرحى والمعتقلين، ملايين النازحين واللاجئين بلاد مدمرة حد التلف، وحشد إثني عرقي قومي ديني ومذهبي، ينذر باستمرار الدمار استمرار القتل واستمرار خسارة الأبناء والأزواج والآباء والأخوة.

يتعالى في سوريا اليوم صوت البنادق الذي يلجم الألسن، ومشاعر الخوف والغضب والقهر التي تأسر العقل، تعمي البصيرة، تمنعنا من التفكير المتوازن والرؤية الصائبة، إن يكن الحديث حول التفكّر والتمعّن فيما يحصل، ومراجعة القناعات والمواقف مطلوباً من كل سوري، فإن النساء السوريات بظننا هنّ الأكثر قدرةً على سماعه، قبوله، وتبنيه، عانت سوريا استبداد آل الأسد ظلمهم واستحواذهم على كل شيء، وقد كمّوا الأفواه، قيّدوا الحريات وشردوا كل من فكّر في قول كلمة حق لدى سلطان جائر، لا يستثنى من ذلك رجال علويون كانوا قامات مثال (صلاح جديد الذي مات في سجون حافظ الأسد، والشاعر محمد النديم الذي قطع شبيحة الأسد لسانه)، ولن يكون آخرهم (علي حبيب وعارف دليلة وعبد العزيز الخير ومنذر ماخوس، وجمال سليمان، وخولة دنيا ولويز عبد الكريم)، وحيث ظل العلويون وقوداً لنار الطمع والتسلط التي أشعلها آل الأسد، منتجين كل أشكال الشبيحة والمتنمرين المتسلطين على الناس عبر تاريخ حكمهم، من أمثال جميل الأسد، وفواز الأسد، وهارون ومنذر ونمير لص المصارف، إلى أن أتى زمن مازن الأسد تاجر الأعضاء البشرية، وهلال الأسد الذي نشط إضافة للقتل والنهب، بتجارته العلنية في خطف الناس وقبض الفدى، مروراً بآل مخلوف الذين ملكوا البشر والحجر، وقد عانى العلويون أولَ السوريين من ظلمهم وأذاهم الكثير.

من الذي وضع أرواح أبنائكن إخوانكن وأزواجكن، على حمأة سكاكين الخلافات ونار الحروب، عندما تنافس حافظ الأسد وأخيه رفعت على حكم سوريا، فحشدوا أبناء الطائفة وقوداً لنار كانت ستقتل عشرات الآلاف، كما يتابع اليوم أبناء حافظ (بعد طرد عمهم مجرم الحرب)، في قتل السوريين جميعاً وأبناؤكن من ضمنهم.

يذكر مصطفى طلاس وزير الدفاع الأسبق، في كتابه (ثلاثة شهور هزت سوريا)، الذي أصدره في عهد حافظ الأسد، «وبلغ الغضب أشده لدى رفعت ومحازبيه، فصمم أن ينتقم من الطائفة المرشدية، وأمر عناصره أن يفتشوا عنهم في كل مكان وفي أي تشكيل، وجمعهم قرب قلعة (برقش) شمال غرب مدينة قطنا، وقام بتجريدهم من أسلحتهم الفردية، وأركبهم عربات نقل عسكرية كبيرة، وقذفهم على الحدود السورية اللبنانية الفلسطينية في مواجهة الجيش الإسرائيلي مباشرة، ولم تردّ إسرائيل على هذا الإجراء لأن الجنود المرشديين الذين في مواجهتهم شبه عراة وكان الوقت ليلاً»، ثم يسهب طلاس في كتابه كيف حاول رفعت أن يقتل «النور المضيء ابن الرب لدى المرشديين».

من ينظر إلى البيوت في حي تشرين وعش الورور و(مزة ٨٦) ومساكن الحرس والسومرية وتجمعات قرى النازحين من الجولان المحتل في تجمعات قدسيا، في أرجاء دمشق وضواحيها، ثم ينظر إلى بيوت السواد الأعظم من سكان الساحل السوري، يعلم أن نظام آل الأسد عامل كل السوريين على صعيد واحد، بالاستغلال والاستحواذ وسرقة الأعمار، لم يفرق بين سني ولا علوي ولا مسيحي ولا درزي ولا إسماعيلي ولا كردي ولا سرياني، بل وظف الجميع في معاداة الجميع، ليتسنى له حكم البلاد كمحتل، وكلص.

منذ أيام تواردت أنباء عن سد بشري شكله عدد من أهالي أحياء عكرمة ووادي الذهب والنزهة والزهراء، ليمنعوا وصول معونات غذائية إلى جيرانهم، إن لم نقل مواطنيهم أو إخوتهم في أحياء حمص المحاصرة، وأخرجوا مظاهرةً هتفت ضد بشار الأسد، بهتافات فحواها أننا فعلنا كل ما فعلنا، وقدمنا عشرات آلاف القتلى لأجل أن يبقى نظامك، فلا تستطيع اليوم أن تتصرف خارج إرادتنا أو خارج ما اتفق عليه، من إخلاء حمص وتشريد أهلها وإعطائها لنا.

رغم سوء المثال، يلفتنا أن العلويين في سوريا اليوم بدأوا، وربما لأول مرة في تاريخ حكم آل الأسد، يحسون بقوتهم، باحتياج آل الأسد ونظامهم لهم، وأن هذا النظام لن يكون بدونهم وبدون مؤازرتهم، وأنهم بدأوا يحسون أن أكثر من ستين ألف قتيل قُدّموا في خدمة بشار الأسد وعائلته، تعطيهم الحق في أن يفرضوا ما يريدون وما يظنونه صائباً، فإن توصلوا إلى هذه الحقيقة، ربما عليهم أن يفكروا بخيارات أن يكونوا جزءاً من سوريا الوطن، أن يكونوا إنسانيين مرة أخرى فيوقفوا هذه المذبحة وتداعياتها، التي ربما تنفتح على مئات آلاف الضحايا، من أهلهم وأبنائهم وأخوتهم من كل السوريين.

(يذهب العلوي للقبر كي يبقى بشار وعائلته في القصر) ربما كانت من أصدق الكلمات وأكثرها شرحاً لحقيقة الواقع في سوريا اليوم.

رئيس التحرير

السوريات يواجهن الحياة التي فرضت عليهن

نساء يتقنّ أعمالاً لم يعرفنها.

محمود الدرويش

في تلك الصورة، امرأة في خمسينات العمر من مدينة جسر الشغور في ريف إدلب، أم لشهيد، وزوجة لشهيد.

أم محمد، لاجئة في مخيم كلس للاجئين السوريين، تركت بيتها في مدينة جسر الشغور، بعد أن اقتحمها جيش النظام في ٢٠١١.

تقول أم محمد: إنهم غادروا المدينة خوفاً من دخول جيش النظام، فمن المعروف أن أي مدينة يدخلها الجيش، ستقع فيها مجزرة يذهب ضحيتها عشرات من شبانها ونسائها وأطفالها.

لم يكن ترك الدار والبيت الذي عاشت فيه أم محمد سهلاً، فهي بقيت مع زوجها تسانده لبناء منزل العمر، الذي استمروا في بنائه أكثر من عشر سنوات، ولكن كان الخوف من المجازر «أكبر من الحرص على أي شيء» على حد تعبيرها.

غادروا المدينة خوفاً من دخول جيش النظام، فمن المعروف أن أي مدينة يدخلها الجيش، ستقع فيها مجزرة يذهب ضحيتها عشرات من شبانها ونسائها وأطفالها.

عودة وشهادة

لم ينتظر زوج أم محمد كثيراً، قبل العودة والالتحاق بصفوف الجيش الحر، بعد تشكيله في العام ٢٠١١ لقتال قوات النظام، الذي شردهم وهدم منزلهم وقتل أبنائهم، وكان من أكبر دوافع العودة لقتال النظام السوري لأبي محمد العثور على جثة أكثر من ٣٠ معتقلاً في فرع الأمن العسكري في جسر الشغور، قتلوا بدم بارد ووجدوا في دورات المياه للفرع، بعد أن اقتحم الجيش الحر فرع الأمن العسكري بحسب أم محمد.

بقي أبو محمد قرابة ستة أشهر، ليأتي خبر استشهاده لزوجته، ودفن في إحدى المناطق في ريف إدلب.

تصميم وعمل

الحياة ليست سهلة في مخيمات اللجوء، وخاصة بالنسبة للنساء، حيث أصبحن المعيلات الوحيدات لأسرهن، فمعظم الرجال اختاروا البقاء في سوريا، إما لمحاربة النظام، أو للحفاظ على ما تبقى من رزق العائلة.

أم محمد الآن هي معيلة لطفليها اللذين لم يبلغا الثالثة عشرة، فهي تحيك القماش المزخرف وغيره من الملابس، ضمن ورشة خياطة افتتحتها السلطات التركية في المخيم، وتقوم إدارة الورشة ببيع القطع المحاكة، ليعود قسم من ثمنها لصاحبة العمل.

غياب ومسؤولية

تقوم النساء في مخيم كلس بإنجاز كافة المعاملات التي يحتجنها من إدارة المخيم، من بطاقات صحية أو كروت تموينية، أو حتى زيارات خارج المخيم إلى طلب إذن للسماح لأحد الأقارب بالدخول إلى المخيم.

رندة علوان (٣٤) عاماً، من مدينة حلب، متزوجة ولديها ثلاثة أطفال، جاءت إلى المخيم بسبب القصف على المدينة، الذي بدأ في أواخر الشهر السابع من العام ٢٠١٢.

تقف رندة في طابور طويل للحصول على كرت التموين الذي خصصته إدارة المخيم لكل أسرة، لتحصل على مستلزماتها اليومية.

زوج رندة يزورها كل حين وآخر، فهو مازال داخل سوريا، يعمل لكي يؤمن حياة كريمة لأسرته، بعد أن ضاع جنى العمر في حي صلاح الدين الحلبي، الذي قصفه النظام بشكل مكثف في بداية المعارك.

تقع الآن مسؤوليات كبيرة على عاتق رندة، من حيث الاعتناء بالأسرة، وتأمين المتطلبات اليومية داخل المخيم، في ظل غياب الزوج.

لم يكن الحال مختلفاً كثيراً في الداخل السوري أيضاً، فالنساء هناك لهن دور كبير في الحياة، وعملن الكثير من السنوات الثلاث الفائتة من عمر الثورة السورية، فأسر كثيرة تبدل مكان

إقامتها، حيث ينزحون من بيوتهم التي تتعرض للقصف، إلى مناطق أكثر أمناً، ولكن في ظل تغيرات المكان، كانت هناك تغيرات كثيرة بالنسبة للنساء، فكثير من النساء اللواتي يقطنّ المدن تبدلت أحوالهنّ بعد النزوح.

نزوح ومكان جديد

سامية ذات الأربعين عاماً، كانت تسكن في مدينة دمشق في حي التضامن، وبعد أن اندلعت هناك اشتباكات بين الجيش الحر والجيش النظامي، نزحت مع أسرتها إلى إحدى القرى المحررة من النظام السوري، في جبل الزاوية بريف إدلب.

تقول سامية: إنها تستطيع الآن إعداد الخبز على التنور، بسبب فقدانه في معظم الأحيان، إذ إنها لم تكن تتصور أنها ستجبر يوماً على الوقوف على التنور لإعداد الخبز، ولكن الظروف أقوى من الجميع على حد تعبيرها.

لم يكن إنتاج الخبز العمل الوحيد الذي تعلمته سامية، بل باتت تتقن أيضاً نوعاً من الزراعة المنزلية، هي زراعة الخضار والاعتناء بها، كما أنها تساعد زوجها في عمله من خلال تجهيز الفلافل والفول والحمص، للمطعم الذي افتتحه كي يؤمّن قوت أسرته.

إحصائيات

المرأة في الحال السورية هي الأكثر تعرضاً للخطر، فقد أشارت الإحصائيات بعد مرور ألف يوم على الثورة، أن عدد النساء اللواتي قُتلن خلالها على يد قوات النظام تجاوز الـ(٨٠٠٠) امرأة، كما تشكل النساء حوالي ثلث عدد النازحين واللاجئين السوريين (نحو ٣,٥ مليون نازحة ولاجئة).

تستخدم قوات النظام الاغتصاب كسلاح لمواجهة الثوار، كما أن الأمم المتحدة تقدر النساء اللواتي تعرضن للاغتصاب بـ(٦٠٠٠) امرأة، وتقول الشبكة السورية لحقوق النساء: إن العدد تجاوز الـ(٧٥٠٠) امرأة.

وتتعرض النساء للاغتصاب بشكل ممنهج، فحسب الشبكة الأورو-متوسطية لحقوق الإنسان: تستخدم قوات النظام الاغتصاب كسلاح لمواجهة الثوار، كما أن الأمم المتحدة تقدر النساء اللواتي تعرضن للاغتصاب بـ(٦٠٠٠) امرأة، وتقول الشبكة السورية لحقوق النساء: إن العدد تجاوز الـ(٧٥٠٠) امرأة. كما أن عدد النساء المعتقلات تجاوز الـ٤٠٠٠ امرأة، بحسب إحصائيات الأمم المتحدة، قضت منهن ما يقارب ٣٠ معتقلة تحت التعذيب.

ففي ظل هذه الظروف عانت المرأة السورية ماعاناه كل رجل وطفل سوري، كما أنها وقفت إلى جانب الرجال في أشد المحن، وساندتهم في جميع الأزمات، ورسمت معهم خطوط الحياة اليومية التي يعيشها السوريون، فهي تناضل من أجل تماسك أسرتها، كما تناضل من أجل حريتها، وعلى حد تعبير إحدى النساء الثائرات: «خرجنا وثرنا ودفعنا ثمناً باهظاً في ثورتنا، لكي لا نجعل أبناءنا وأحفادنا يدفعون هذا الثمن».

مدنيو حمص المحاصرة بين رحى الاعتقال والجوع ومصير أكثر من مئتي نازح لا يزال مجهولاً ..

خاص سيدة سوريا

بدأت عملية إجلاء المدنيين من أحياء حمص المحاصرة، في السابع من شباط الجاري، بعد ضغوط دولية انطلقت مع مؤتمر (جنيف٢)، وتركيز على الجانب الإنساني، وبناءً على اتفاق بين النظام السوري والمجلس العسكري في حمص، بإشراف من الأمم المتحدة، وأجلي حتى اليوم أكثر من ألف وأربع مئة مدني، لا يزال النظام يحتجز مئتين وعشرين منهم، على أقل تقدير، حسب مصادر عدة، بينها وكالة فرانس برس للأنباء، والمرصد السوري لحقوق الإنسان، إضافة إلى تصريحات محافظ حمص طلال البرازي، وتصريحات أدلى بها ناشطون من أحياء حمص القديمة لوكالة سمارت للأنباء.

وكان اتفاق جرى برعاية الأمم المتحدة تتيح بموجبه قوات النظام السوري، التي تحاصر أحياء في حمص القديمة، إجلاء المدنيين المحاصرين هناك منذ عشرين شهراً، عن طريق الهلال الأحمر السوري ومنظمة الصليب الأحمر، ضمن الإجراءات التالية: (تبدأ هدنة من الساعة السادسة صباحاً حتى السادسة مساءً كل يوم، يتوقف خلالها إطلاق النار، ويجلى المدنيون الذين تقل أعمارهم عن خمسة عشر عاماً، والذين تزيد أعمارهم عن خمسة وخمسين عاماً، إلى المكان الذي يختارونه بضمانة من الأمم المتحدة الراعية، دون التوقف لدى قوات النظام، ويتوقف من هم بين السادسة عشرة والرابعة والخمسين للتحقيق لدى قوات أمن النظام لتسوية أوضاعهم، على ألا يتعدى توقيفهم أربعاً وعشرين ساعة، وفيما يخص النساء، يجلين دون تضييق أو تدقيق على الثبوتيات، ويفتشن من قبل نساء حصراً).

وتضيف المصادر أن الاتفاق تعرض للتسويف وعدم الالتزام وخرق الهدنة، حيث أطلقت قوات النظام النار على المدنيين وهم يغادرون في عهدة عربات الأمم المتحدة، كما قصفت الأخيرة الأحياء المحاصرة، ما أدى لمقتل أربعة عشر شخصاً، واحتجزت قوات النظام ثلاث مئة وتسعة وستين نازحاً بحجة تسوية أوضاعهم، أفرجت عن عدد قليل منهم، فيما لا يزال الباقون قيد الاعتقال، ما يخالف نص الاتفاق حسب ناشطين.

وعن سير العملية، ذكرت وكالة فرانس برس الفرنسية، أن ثلاثة وثمانين مدنياً تم إخلاؤهم الجمعة (السابع من شباط الحالي) يوم بدء الهدنة، وأخلي ست مئة وأحد عشر آخرين يوم الأحد في التاسع منه، وأدخلت ستون حصة غذائية إضافة إلى طن ونصف من الطحين إلى المنطقة، وفي اليوم التالي الإثنين العاشر من شباط، أجلي أكثر من ثلاث مئة مدني، ما أوصل العدد إلى حوالي ألف ومئتين غالبيتهم من الأطفال والمسنين حسب المصدر ذاته، ثم أجلي مئتين وسبعة عشر مدنياً باستئناف عملية الإجلاء التي توقفت يوماً بينهم عشرون مسيحياً خرجوا مشياً من بستان الديوان إلى جورة الشياح، حسب محافظ حمص (طلال البرازي).

وعلقت العملية يوم الخميس الثالث عشر من شباط، وتمكن الصليب والهلال الأحمرين من إدخال ما وصل مجموعه إلى مئة وتسعين حصة غذائية، إضافة إلى أربعة آلاف وسبع مئة كيلو غرام من الطحين نحو الأحياء المحاصرة، ثم مددت الهدنة ثلاثة أيام ليجدد تمديدها إلى مساء الأربعاء التالي، التاسع عشر من شباط، هذا اليوم الذي أخلي فيه أربعة عشر مدنياً ليصل العدد إلى ما يزيد عن ألف وأربع مئة مدني.

ويقدر الناشط أبو بلال الحمصي في تصريح لـ»سمارت»، عدد سكان الأحياء المحاصرة بما يقارب خمسة آلاف شخص، يتوزعون على ثمان مئة عائلة،

حمص – وكالة سمارت – أرشيف

حمص- وكالة سمارت- أرشيف

حمص- وكالة سمارت- أرشيف

معظمهم من الأطفال والنساء وكبار السن، وأنهم اقتاتوا طوال فترة الحصار التي زادت على عشرين شهراً، على ما خلفه نازحوا الأحياء المحاصرة من مؤن، وأن هذه المؤن نفذت أو شارفت على النفاذ، فيما تقدر إحصائيات عدد المدنيين المحاصرين قبل الإجلاء بحوالي ثلاثة آلاف.

وعن وضع مقاتلي الجيش الحر في الأحياء المحاصرة، وتعاملهم مع الهدنة والإجلاء يذكر ناشطون لـ«سمارت»، أن طول الحصار بوجود هذا العدد الكبير من العائلات، إضافةً إلى عشرات الحالات الطبية المستعصية، بسبب نقص الأدوية والكوادر الطبية، وبينها مصابون جراء القصف ومرضى غسيل الكلى وحالات أخرى، جعلهم يقبلون الهدنة بينما يخرجون مدنييهم، في محاولة لتجنب السيناريو الذي حصل في القصير، حيث وقع المئات بين قتيل وجريح، مع دخول قوات النظام وميليشيات حزب الله حينها.

وحول المخاوف أن يؤدي إجلاء المدنيين إلى ازدياد عنف النظام، في قصف المناطق المحاصرة، بحجة أنه لم يبق فيها غير المسلحين، يجيب الناشطون أن قصف النظام لم يوفر يوماً المناطق التي تعج بالمدنيين أطفالاً شيوخاً ونساءً، والمدن السورية كافة أمثلة على ذلك، خاصةً ما يحدث في مدينة حلب اليوم، تحت قصف البراميل المتفجرة.

وفي سياق متصل قال وليم هيغ وزير الخارجية البريطاني إنه من غير المقبول أن يحتجز النظام السوري من تم إجلاؤهم للاستجواب كل هذا الوقت، وطالب بمعلومات عاجلة عن مصائرهم، وإنه يجب إطلاقهم فوراً.

كذلك صرح الناطق باسم الخارجية الأميركية إدغار فاسكينز: «على النظام في دمشق أن ينتبه إلى أن العالم يراقب بقلق كبير ما يجري في حمص، بخصوص المعتقلين من الذين تم إجلاؤهم، وإن استمرار اعتقالهم غير مقبول»، وأضاف فاسكينز خلال بيان صحفي صدر في (جنيف): «إنهم شهدوا من قبل مراوغات من النظام عبر حملة التركيع أو التجويع المقيتة، فعلى سبيل المثال حدث إجلاء محدود في المعضمية، لكن لا مساعدات غذائية أو مساعدات إنسانية أخرى»، وختم حديثه بالقول: «لا يمكن قبول حدوث هذا في حمص».

الجدير ذكره، أن الأحياء المحاصرة في حمص القديمة، التي تبلغ مساحتها (٢ كم^2)، ودمر معظمها حتى الآن، شاملة أحياء (الخالدية، القصور، القرابيص، جورة الشياح، الحميدية، باب هود، الورشة، وادي السايح)، لا تزال تؤوي أكثر من ألفي مدني من النساء والأطفال والشيوخ يرغب معظمهم بالخروج، لكنهم يحتاجون ضمانات أمنية من النظام، وكفالات أكثر وضوحاً وثقة من هيئات دولية، حسب تصريحات كثيرين منهم.

ارتفاع الأسعار في المناطق المحررة.. هل انقلبت الضحية إلى جلاد؟

معاوية عبد القادر الخالد

في ظل تردي الأوضاع الاقتصادية والإنسانية، وشح الموارد المالية، فضلاً عن غياب الرقابة القانونية، هيمن الاحتكار على أسواق المناطق المحررة، معلناً غياب المنافسة التجارية المشروعة.

هذا وتشهد الأسواق في الأراضي المحررة ارتفاعاً في أسعار المواد المعيشية الأساسية عموماً، والمواد النفطية خصوصاً، فقد وصل سعر ليتر المازوت إلى أكثر من ١٥٠ ليرة، فيما تخطى سعر أسطوانة الغاز ٣٥٠٠ ليرة.

أما الخبز، فقد وصل سعر الربطة وزن ٨٠٠ غرام في الحولة غربي حمص إلى ٣٠٠ ل.س، أما في تلبيسة والغنطو شمالي المدينة، فقد كان ثمن الخبز أكثر من ٥٠ شهيداً بينهم تسعة أطفال، فضلاً عن عشرات الجرحى، وذلك إثر استهداف النظام للمخابز بالصواريخ، ناهيك عن استهدافه للمخبز الرئيسي في قرية تيرمعلة بسيارة مفخخة، تم اكتشافها وتفكيك محتواها..

أما في الأحياء المحاصرة لمدينة حمص فقد انقطعت أبسط سبل الحياة على خلفية الحصار، لتصبح القطط إحدى وجبات المحاصرين.

وعلى صعيد آخر، كاد أغلب السكان يجزمون أنه لن يكون هذا العام كسابقه من أعوام الثورة، في ظل اشتداد الخناق الاقتصادي.

ففي استطلاع للرأي قام به المكتب الإعلامي لقرية تيرمعلة في ريف حمص الشمالي المحرر حول ارتفاع الأسعار، تبين أن نسبة ٦٠٪ من السكان يؤكدون أن السبب يعود لاحتكار التجار للمواد، و٢٠٪ يحمّلون الناقلين السبب، نظراً للفارق الكبير بالأسعار بين مناطق استيرادها والمناطق المحررة، فيما أشار ١٠٪ إلى أن عدم انضباط سعر صرف الدولار مقابل الليرة السورية هو أحد أهم الأسباب، وامتنع ١٠٪ عن المشاركة.

الجدير بالذكر أن الأسعار في الأراضي المحررة مهيأة لمزيد من الارتفاع، بمعدلات أعلى من سابقتها، لا سيما أن نظام الأسد مستمر بفرض الحصار على الأراضي المحررة، فضلاً عن التضخم المالي، فقد سجل الدولار أعلى سعر صرف له مقابل الليرة السورية في شهر كانون الثاني من العام الحالي، ووصل إلى ٢٧٥ ليرة سورية مقابل الدولار الواحد.

بعض الأسئلة تطرح نفسها هنا: هل انقلبت الضحية إلى جلاد؟ ومن المسؤول عن ارتفاع الأسعار وضبط الأسواق في المناطق المحررة، ومن المستفيد من ارتفاعها؟

تبقى هذه الأسئلة برسم الألم، ولا ندري إن كنّا نريد سماع الإجابة.

أكيد بكرة أحلى..

هند قبوات

بعد أن وصلنا إلى مدينة هيني في ليلة شتاء باردة وممطرة في الأناضول، برفقة صديقتي سيما، إحدى صديقاتي المقربات، بدأنا طريقنا بحماسة وصبر، ووصلنا إلى صديقاتنا الناشطات في سرمدا لإمضاء ليلة رأس السنة معهم، متأملين قضاء بعض الوقت داخل الأراضي السورية. قضينا الوقت هناك في تعليم ودعم النساء، وتدريبهن على حل النزاعات، وتوعيتهن حول مفهوم المجتمع المدني. أما الأخبار التي كنا نتلقاها عن الأراضي المحررة فلم تكن إيجابية، حيث إن تنظيم دولة العراق والشام ذو السمعة السيئة كان قد فرض سيطرته على كامل القرية.

أما النشطاء السوريون المعروف عنهم انتقادهم لأنشطة هؤلاء التنظيمات، فقد كانوا يتعرضون للخطف والقتل على أيدي عناصر هذا التنظيم.

تلقيت اتصالاً من طالبتي العزيزة هبة، أخبرتني أن جميع الأراضي المحررة، والتي باتت لا تخضع لسلطة النظام، أصبحت تشكل خطراً على حياة النشطاء المدنيين، ثم تحدثت وكأنه ما من تعقيدات: «لا تقلقي أمي، إذا لم يستطع موسى الذهاب إلى الجبل، فسوف نحضر الجبل لموسى».

وهذا ما حدث في صباح اليوم التالي، حيث جلسنا جميعاً يلفحنا هواء مدينة الريحانية البارد، مُحاطين بالنساء الناشطات والطلاب، الذين نما بيني وبينهم رابط من المحبة والاحترام وصاروا كأولادي، كنا نحتسي الشاي الساخن في الظلام، هبة، فلك، وهدى، جميعهم من النساء الناشطات المميزات اللواتي قررن أن يخترن مصيرهن بأنفسهن، وتحسين وضعهن ودعم النساء والأطفال الذين هم مستقبل سوريا.

شعرنا وكأننا جزء من مشروع عظيم، تبادلنا الآراء ووجهات النظر حول مستقبل سوريا، والاستراتيجيات التي يجب اتباعها لتحقيق هذه التصورات، كيف يمكننا أن نحسّن وضع اللاجئين السورين في جنوب تركيا، والأهم، كيف يمكننا تحقيق وقف فوري لإطلاق النار، وجميع أنواع سفك الدماء، وهي الغاية الأهم لجميع السوريين.

قضينا أنا وسيما بضعة أيام نزور النساء اللاجئات والأمهات والجدات اللواتي ظهر عليهن التعب، بدين مُحملات بأعباء المأساة التي أصابت ما يُقارب الـ ١٠ ملايين سوري.

لكل واحدة من هؤلاء النسوة قصتها ومعاناها، ورغم اختلافات هذه القصص إلا أنها لا تتفاوت مأساوية وحزناً. كان هناك شيء آخر مشترك بين هولاء النسوة، إشراقة عيونهن بالحب والكرامة رغم كل ما حل بحياتهن من ألم.

قررن الوقوف والمطالبة بحقوقهن ودفع ثمن هذا النضال من أجل تحقيق الحرية لشعبهن، الشعب الذي عانى منذ ثلاث سنوات وما يزال يعاني، هذه المعاناة خلقت أمهات وجدات يزرعن المحبة من حولهن، ويدعمن بعضهن في مواجهة أي شيء، فحين تنضم عائلة جديدة للمخيم يتم تقاسم البطانيات والمواد الغذائية بالتساوي بين الجميع، أم خالد تقول بمحبة وفخر: «يجب أن نساعد ونساند بعضنا حتى نستطيع النجاة».

مشهد آخر حملني على التفاؤل، حين تحدثت أم سمير التي فقدت أحدى يديها، نظرت نحوي بأمل وابتسامة واسعة، وقالت: «لطالما أحببت الطيور، ودائماً كنت أتمنى أن أتسلق الأشجار، لقد كنت معلمة، وحين أتحسن سأعود إلى قريتي، وأعيد بناء المدرسة التي تدمرت، عندها سأعاود تعليم أطفال بلدي من جديد».

كل النساء اللواتي قابلتهن في جنوب تركيا كن منشغلات في العمل بمشاريع مختلفة، سواء في مساعدة العائلات الجديدة في الاستقرار، أو تعليم الأطفال الصغار القراءة والكتابة، أو التطوع في المشافي الميدانية، كل واحدة من هؤلاء النساء كانت تفعل ما بوسعها للمساعدة في تخفيف الألم والمعاناة عن جميع اللاجئين السوريين.

وفي حين كانت النساء الناشطات مشغولات بمشاريعهن في جنوب تركيا، توجهت مجموعة أخرى من النساء السوريات نحو قرطبة في إسبانيا، حيث عقد هناك مؤتمر حوار لتوحيد جميع السوريين والمطالبة بتنفيذ وقف فوري لإطلاق النار، مجموعة حيوية أخرى من النساء ضمت امرأة سورية شابة تُدعى رُفية، تعمل في إدلب، ولديها إخوة مُعتقلون من قبل النظام السوري، اتجهت إلى جنيف لإظهار موقف موحد والإدلاء ببيان يُمثل تطلعات الشعب السوري، البيان تضمن طلب الوقف الفوري لإطلاق النار من قبل جميع الأطراف في سوريا.

أخبرتني هبة أن جميع الاراضي المحررة، والتي باتت لا تخضع لسلطة النظام، أصبحت تشكل خطراً على حياة النشطاء المدنيين، ثم تحدثت وكأنه ما من تعقيدات: «لا تقلقي أمي، إذا لم يستطع موسى الذهاب إلى الجبل، فسوف نحضر الجبل لموسى».

امرأة أخرى شجاعة هي نورا الأمير من الائتلاف الوطني، سجينة سابقة من قبل نظام الأسد، هي في الخط الأمامي لفريق التفاوض،

تبادلنا الأفكار بصراحة وجدية حول المستقبل الذي نتمناه لأولادنا ولأنفسنا، كيف سيكون يوم فخر ليس فقط لنا، بل لجميع السوريين.

في عمان وتحديداً في مخيم الزعتري، تتواجد الناشطة نوشا، تستعد لبدء ورشة عمل جديدة حول حل النزاعات، وتستهدف السكان السوريين الشباب في المخيم، هذه الورشات تقام لزيادة التوعية حول المصالحة وإعادة البناء بدل الكراهية والانتقام، نوشا المتحدرة من خلفية ليبرالية تنضم للتعاون مع أم عبدو، من مدينة درعا المُدمرة، مهد الثورة السورية، من أجل مساعدة الأطفال السوريين والشباب للتغلب على غضبهم، ودفعهم في طريق إعادة إعمار بلدنا العظيم، أم عبدو احتضنت نوشا وقالت لها إنها تستطيع أن تتنشق رائحة دمشق التي تفوح منها.

النساء في عمان مشغولات بتنظيم المساعدات الإنسانية لبقية اللاجئين السوريين، وسكان منطقة جنوب سوريا، وذلك عن طريق محاولة الحصول على الطعام والدواء، وإيصاله للمناطق المحيطة.

سارة التي تنتمي لمجموعة ميلاد التطوعية، تعمل على توفير الدعم النفسي للنساء اللاجئات. والدتها أم طلال تهتم بأطفالها، رغمْ انشغالها بطهي الطعام بشكل أسبوعي، ودعمها المستمر للنساء السوريات الموجودات في مركز بدر.

ندى، مهندسة سورية تعمل على التنسيق بين وظيفتها الجديدة في تعليم الشباب السوري في المخيمات في إربد، وعملها السياسي في أعلان دمشق.

وفي كل صباح من صباحات بيروت المشمسة تقود امرأة سورية السيارة باتجاه وادي البقاع من أجل المساعدة في تعليم، إطعام، كسوة ورعاية اللاجئين السوريين، الذين فروا من أنحاء مدينة حمص القريبة، ماسا ورنيم اللتين تذهبان إلى هناك بشكل منتظم، تساعدان في تدريب المتطوعين الشباب، للتعامل بشكل أفضل وفعال مع الأطفال السوريين.

تقوم ماسا ورنيم عادة باصطحاب أطفالهما للعب مع هؤلاء الأطفال. في واحدة من دعوات وجبات الغداء الفاخرة في العاصمة اللبنانية، ناقشت كل من ماسا ونورا الحاجة الماسة إلى الوقف الفوري لإطلاق النار، وحاجة المرأة للشعور بالأمان حتى تخرج للعمل بحرية، فضلاً عن دورها الأساسي في مستقبل بلدنا الحبيب سوريا.

أستعير كلمات نوزامي وهو وزير في جنوب أفريقيا في عهد مانديلا، وكنا التقينا به في الأردن: «سوريا لديها الكثير من النساء العظيمات اللواتي يمكن الاعتماد عليهن في إعادة بناء بلدكم العظيم».

بطبيعة الحال سوف يتحقق وقف إطلاق النار، كيف مع هذا النظام الدكتاتوري المتوحش؟ الجواب بكل بساطة أن هذا النظام القاتل المتوحش يعرف كيف يتعامل مع التمرد المسلح، وهو أقوى من الميليشيات، وهذا الأمر يسمح للنظام بالاستمرار لعدة سنوات أخرى.

أما في حالة وجود وقف كامل للعمليات القتالية، فستكون هناك بيئة تُمكن المرأة من العمل بحرية، والبدء بحركة مدنية سلمية تساهم في حركة الإصلاح والتغيير، وهو ما لا يعرف النظام الوحشي كيف يتعامل معه في مدينة دمشق، فمن شأن الحركة المدنية السلمية الحقيقية أن تساهم في إنهاء ٤٠ سنة من الطغيان.

المرأة السورية انتبهت إلى أهمية هذه الفكرة، وهي تعمل على أرض الواقع يوماً بعد يوم لمناصرة وتحقيق أفكارها حول عملية وقف إطلاق النار.

وفي حين أن العالم بأسرة يشعر بالقلق إزاء مستقبل البلاد وآثار التطرف على المجتمع السوري، فنحن نقول لهم لا داعي للقلق، وسوف أستعير كلمات نوزامي وهو وزير في جنوب أفريقيا في عهد مانديلا، وكنا التقينا به في الأردن: «سوريا لديها الكثير من النساء العظيمات اللواتي يمكن الاعتماد عليهن في إعادة بناء بلدكم العظيم».

إن ما شهدته ولاحظته من تصرفات وأفعال المرأة السورية كل يوم، جعلني أشعر بالشجاعة. لدي إيمان بأن المرأة السورية ستلعب الدور الأساسي في تحقيق عملية التغييرالتي نريدها في بلدنا، وعلينا وضع أملنا و ثقتنا بهن. يجب أن نكون كلنا أم سمير التي ما زالت تأمل بالعودة وبناء قريتها المُدمرة رغم كل ما فقدته.

أعطونا فرصة لنعيش، ولنضع عملية وقف إطلاق النار قيد التنفيذ، وكما قالت أم سمير: «كلنا نعيش في الأمل».

المرأة وامتحان مرحلة التغيير في سوريا

المرأة الكردية كمغيّر

خوشمان قادو

يُعتبر المجتمع الكردي من المجتمعات المنفتحة على دور المرأة في بناء مجتمع مدني متطور، حيث كانت المرأة الكردية، وماتزال، النواة الرئيسة في المجتمع، وتتمتع ببعض مزايا التحرر التي مكّنتها من إبراز شخصيتها في المجتمع إلى جانب الرجل رغم الكثير من المصاعب. المرأة الكردية صاحبة الموروث النيوليتي كانت قادرة على تجسيد ذاك الفكر المميّز في بيتها، دون أن تغدو حالة فعّالة خارجه إلّا في حالات معيّنة. لم تُكبّل المرأة الكردية بقيود صارمة تمنعها من ممارسة حياتها وإبراز شخصيتها، فمن النساء الكرد من ترأسن عشائرهن، ومن مارسن الغناء، كذلك حملن السلاح خُضن غمار السياسة، لكن بما أن المجتمع الكردي لم يستطع أن يعيش كما ثقافته وإرثه الحضاري الذي يفترض أن يكون أساس البناء، فهو لم يكن قادراً على إبراز الملامح الأساسية لدور المرأة في بناء مجتمع ديمقراطي حرّ. خضوع المجتمع الكردي لسياسات سلطة الأنظمة التي تحكمه جرّده من شخصيته، وكرّس فيه مفهوم العبودية بشكل أوسع، فكانت المرأة الأكثر تضرراً، حيث سُلبت إرادتها وانحرفت الرؤية إليها، فغدت بذلك قابعة تحت حكم عبودية الرجل ذاته.

في سوريا حافظ المجتمع الكردي على الفكر المنفتح والمتنوّر في رؤيته للمرأة، فكانت المرأة الكردية في سوريا قادرة على ممارسة الكثير من حقوقها بنسب متفاوتة، كعضو فعّال وشريك في المجتمع، وكانت متمايزة عن شقيقاتها في الأجزاء الأخرى. لكن رغم امتداد الإرث الثقافي الكردي، وحضور ذهنية المرأة الكردية القوية في المجتمع الكردي في سوريا، بالإضافة إلى تمتعها بهامش من الحرية، إلّا أنها لم تستطع الولوج إلى الممارسة الحقيقية والفعلية لحقوقها، كما لم تستطع الارتقاء إلى مستوى إشباع أو إقناع ذاتها بشخصيتها المستقلة عن الصورة العامة للعائلة، أو الأسرة التي باتت – نتيجة الفكر العشائري – شمّاعة القمع الذي يُمارس على المرأة. من جهة أخرى لم تساعد الحركة الكردية السياسية منذ تأسيسها في سوريا عام ١٩٥٧ على إعطاء الجانب الحقيقي لموضوع المرأة في المجتمع، واقتصرت كل المفاهيم والحقوق التي طالبت بها من أجل المرأة على مجرد الشعارات، كما أنّها لم تسعَ إلى فتح المجال أمام المرأة كي تنهضَ بدورها الرائد، ليس فقط في الحركة السياسية، بل حتى في المجتمع نفسه. ورغم وجود العنصر النسائي في كافة الأحزاب الكردية في سوريا، إلّا أنها كانت مجرد واجهة، على أنّهُ لم يكن لها أيُّ دور فاعل وبارز، حيث أنّ هذه الأحزاب ساهمت بطريقة أو بأخرى في فرض قيود جديدة على حرية المرأة وحقوقها، عن طريق فتح الباب أمامها للانتساب إليها، وعدم إعطائها أي دور قيادي أو صفة رسمية تكون من خلالها قادرة على اتخاذ القرارات.

لم تستطع المرأة الارتقاء إلى مستوى إشباع أو إقناع ذاتها بشخصيتها المستقلة عن الصورة العامة للعائلة، أو الأسرة التي باتت نتيجة الفكر العشائري شماعة القمع الذي يمارس على المرأة.

المرأة الكردية في سوريا هي الأخرى بقيت أيضاً في مستوى الشكوى المستمرة من إهمال دورها، وعدم الإنصاف بينها وبين الرجل، ولم تحاول أن تبني فكراً مغايراً ومتمايزاً عن الفكر المدعي دوماً أن المرأة غير قادرة على فعل أي شيء سوى أعمال المنزل، في الكثير من الأحيان ساعدت المرأة نفسها في تجسيد وتكريس هذه الفكرة، خاصةً بعد خروجها من دائرة العائلة وذهابها إلى

الجامعة، بُنية الوعي لديها بدأت تأخذ منحى آخر، إلّا أنّها، ومع ذلك، لم تكن تلك الخطوة المعتدة نحو التحرر من فكرة النقصان، التي زُرعت في ذهنية المجتمع على مر عقود فيما يخصّها كامرأة.

حين بدأ الحراك في سوريا، كانت المرأة مشاركة بقوة في المظاهرات والحراك المدني، لكنها كانت بشكل فردي في بداية الأمر، وما لبث الأمر أن تحول إلى تشكيل جمعيات ومنظمات وهيئات خاصة بها، تحت مسميات مختلفة، أغلبيتها كانت طارئة على الواقع، فغدت هذه التشكيلات وسيلة أكثر من كونها غاية, كذلك كانت هناك مشكلة افتقارها إلى التخصص ما أفقدتها شرعيتها، واقتصرت برامجها على المهن والحرف التي يجب أن تتعلمها النساء، وكانت بعيدة كل البعد عن الرسالة التي من أجلها تأسست أصلاً تلك المنظمات والجمعيات.

من اللافت للانتباه أن نسبة تمثيل المرأة في (MGRK) هي أربعون في المائة، في حين لا توجد أرقام قريبة حتى بالنسبة للمجلس الوطني الكردي في سوريا (ENKS).

عند الحديث عن مشاركة المرأة على أي صعيد كان، وخاصة السياسي والعسكري في الوقت الراهن، وبعيداً عن الفكر الأيديولوجي، لابد من التطرق إلى مجلس شعب غربي كردستان (MGRK)، حزب الاتحاد الديمقراطي(PYD)، ومنظومة حركة المجتمع الديمقراطي(TEV-DEM)، بحكم أنهم من أوائل الذين أعطوا للمرأة دوراً بارزاً، ومنحوها الثقة التامة، من خلال فتح المجال أمامها، لتتبوأ مناصب قيادية تكون من خلالها طرفاً في اتخاذ القرار وحتى صناعته، وبدأت المرأة تمارس كافة حقوقها، وهذه الرؤية بالنسبة إليهم هي ليست كحالة تنظيمية خاصة بهم فقط، بل يسعون إلى جعلها ثقافة عامة وممارسة حقيقية في المجتمع، وتتبع كل المؤسسات والهيئات والتنظيمات التابعة للتشكيلات الثلاث المذكورة طريقة الرئاسة المشتركة بين امرأة ورجل.

من اللافت للانتباه أن نسبة تمثيل المرأة في(MGRK) هي أربعون في المائة، في حين لا توجد أرقام قريبة حتى بالنسبة إلى المجلس الوطني الكردي في سوريا (ENKS)، بل ثمة فقط بعض النساء ضمنه. المرأة من قبل التشكيلات المذكورة كانت دائماً موجودة في المحافل الدولية والمنابر الإعلامية تقوم بالعمل السياسي والدبلوماسي، وفي الإدارة الذاتية الديمقراطية الحالية هناك نصيب كبير للمرأة، كما أنه، ولأول مرة، تتبوأ امرأة كردية منصب رئيس مجلس، وذلك في مقاطعة عفرين في الإدارة الذاتية الديمقراطية.

وجود المرأة كعضو حيوي وفعال في بناء وتطوير المجتمع، باتَ أمراً واقعاً لا يمكن إنكاره أبداً، وخاصةً في ظل التضحيات التي قدمتها المرأة الكردية في سوريا من أجل حقوق كافة مكونات المنطقة. المرأة الكردية اليوم قادرة على القيام بالمهام المطلوبة، من خلال رؤيتها للأمور دون أي تأثير خارجي أو تسلّط لمصادرة رأيها. لقد غدت تلك المرأة التي تشارك في العمل السياسي، العسكري، الثقافي والاقتصادي، وهي ذاتها التي تطبخ، تجلي وتُكنس، لكن كعمل ترغب فيه، دون أن تكون مكرهةً على ذلك. بعد هذه التجربة الحقيقية للمرأة الكردية في سوريا في ممارسة العمل السياسي بجدارة، بات من الطبيعي جداً أن يكون المجتمع أقرب إلى حالة من التحرر والفكر المدني بشكل أوسع.

هذه التجربة سيكونُ لها الأثر الأكبر آنياً ومستقبلاً على البنية الاجتماعية في سوريا ككلّ أيضاً، في وقت ترتفعُ فيه أصوات المجتمعات الأوربية والغربية من أجل الانتهاكات الفظيعة لحقوق المرأة في مناطق سوريا أخرى، كالحاصل في محافظة الرقة مثالاً، من قبل الجماعات الإسلامية الراديكالية، وانتهاكاتهم الجارحة والهمجية لكيان المرأة، واعتبارها عورة، بل ومصدر إرضاء شهوة الجسد للرجل/ المقاتل، والذي يسعى لإعلاء كلمة الله على الأرض.

المشاركة السياسية وتمكين المرأة اقتصادياً في الدول الخارجة من صراع - (٢/٢)

دروس من منطقة البحيرات الكبرى في إفريقيا

ترجمة:د. إنعام شرف
فريق تحرير سيدة سوريا

تقرير صادر عن منظمة International Alert «إنترناشيونال أليرت» لبناء السلام بالتعاون مع EASSI مبادرة تطوير المرأة في منطقة جنوب شرق أفريقيا.
http://www.international-alert.org/sites/default/files/publi٢٠١٢١١FemmeRenforc/cationsementDuPouvoirFR.pdf
تمت مراجعة هذا التقرير ونشره من قبل بنيديكت دو كاسي، مستشار مستقل وألبيرتين تشيبولوندي، الأمين العام لمركز الدراسات والبحوث الأفريقية العابر للثقافات.
ترجمة: د. إنعام شرف/المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

تمثيل المرأة في العمليات الانتخابية:

شهدت جمهورية الكونغو الديمقراطية عام ٢٠٠٦، مشاركةً نسائية ناشطة في الانتخابات الرئاسية والتشريعية، وهي أول انتخابات يتم تنظيمها في البلاد منذ ما يقارب الثلاثين عاماً. ووصلت نسبة المشاركة النسائية في الانتخابات التشريعية إلى ٦٤٪ والقلّة منهن نجحن في هذه الانتخابات: ٨٪ في التجمع الوطني، و٨,٦٪ في مجلس الشيوخ. وهذه النسبة الضئيلة نجمت عن النظام الانتخابي المنحرف، والتحيز في إعداد القوائم الانتخابية للأحزاب السياسية. عانت المرأة في الكونغو كذلك من نقص الدعم المالي، ونقص الخبرة السياسية، وعدم القدرة على حشد القوة للحصول على قاعدة انتخابية كبيرة.

إن الطبيعة المحافظة والمعادية للديمقراطية، التي تُعرف بها الأنظمة السياسية والمؤسسات الاجتماعية والدينية في الكونغو، تعيق تطبيق مبدأ التكافؤ في الفرص، على الرغم من إدراجه في الدستور. كما أنه، وعلى الرغم من اتخاذ تدابير لصالح مشاركة نسائية أوسع، إلّا أنه ما زال هناك العديد من الأحكام التمييزية السياسية والعامة ضد المرأة، ولا سيما في قانون الأسرة الذي يضع المرأة تحت وصاية الزوج. ولا تزال هذه المعايير والقوالب النمطية للعلاقات الاجتماعية بين الجنسين، تشكل العوائق الرئيسية أمام التمثيل العادل والمتكافئ للمرأة في الحياة السياسية والعامة.

قوة اقتصادية ومشاركة سياسية:

يعد الفقر وانعدام الأمان الاقتصادي من العوامل المعيقة لمشاركة المرأة في الحياة السياسية، ومع ذلك لم يساهم التقدم الذي حققته المرأة على الصعيد الاقتصادي في شمال أوغندة، في تحسين وضعها في الفضاء السياسي. وقد لعبت المرأة في الحقيقة دوراً محورياً في الانتعاش الاقتصادي، في مرحلة ما بعد الحرب، وتمكنت من زيادة دخلها، ولكن ليس إلى المستوى الذي يسمح لها بالخروج من دائرة البقاء على قيد الحياة، وتأمين الاحتياجات الأساسية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن عملية البناء السياسي والتنموي في شمال أوغندة لم تأخذ في حسابها أهمية دور المرأة في بناء الاقتصاد في مرحلة السلام، وعلى الرغم من التدابير التي اتخذتها معظم وكالات التنمية العاملة على الأرض، من أجل تحقيق المساواة بين الجنسين، ما تزال المرأة تُعامل على أنها مستضعفة، وغير قادرة على أن تكون لاعباً اقتصادياً مهماً. كما أنه يتم تهميشها في خطط التنمية الأساسية التي طورتها الحكومة المركزية ووكالات التنمية الدولية بعد الحرب. أضف إلى ذلك أن مستوى العنف الجنسي المتزايد تجاه النساء، وكذلك الطريقة التي يعامَلن بها، لا يؤخذان بالحسبان في برامج التطوير والتنمية، وهذا ما يفسر تدنّي نسبة المشاركة النسائية في الحياة السياسية، وإن كانت زيادة الدخل التي حققتها النساء ساهمت في لعب الكثير منهن دوراً هاماً في عملية اتخاذ القرار داخل عائلاتهن، والحصول

على دافع قوي للتأثير على بعض القيادات الشعبية المحلية.

التوصيات:

لقد ساهمت هذه الدراسات الأربع في تحديد عدد من الأولويات والإجراءات الاستراتيجية، لتعزيز مشاركة المرأة في الحياة السياسية والعامة، والاعتراف بدورها المحوري في الانتعاش الاقتصادي في المنطقة. وفيما يلي نستعرض أهم التوصيات التي خرجت بها هذه الدراسات:

أولاً: بوروندي:

- بناء قاعدة بيانات إحصائية عن مشاركة المرأة في الحياة السياسية، وتقييم نسبة التقدم في بوروندي في تنفيذ التزاماتها الوطنية والدولية فيما يتعلق بالمساواة بين الجنسين، خاصةً فيما يتعلق بالمؤشرات المعترف عليها دولياً، كمؤشر التنمية وعدم المساواة بين الجنسين في إفريقيا (IDISA). كما أن تقييم مؤشر التنمية وعدم المساواة بين الجنسين في أفريقيا يجب أن يتم في إطار تعاوني بين الحكومة ومنظمات الأمم المتحدة ومنظمات المجتمع المدني.
- تبني مشروع قانون يضمن حقوق المرأة في الاستملاك العقاري: وقد اعتمدت الحكومة مع البرلمان مشروع قانون الإصلاح الزراعي، أما التسامح والأنظمة الزوجية فهي قيد النظر منذ العام ٢٠٠٢.

– إدماج مبدأ المساواة بين الجنسين بطريقة فعالة في السياسات والبرامج التنموية الوطنية: يجب ضمان تحقيق «الرؤية ٢٠٢٥» والإطار الاستراتيجي الجديد من الكفاح ضد الفقر وبناء السلام المتكامل، وهذا يشمل:

١. الترويج لسياسة وطنية قائمة على المساواة بين الجنسين، كتلك التي تم تبنيها في العام ٢٠٠٢، ووضعها حيز التنفيذ وذلك من خلال إنشاء هيكليات ينص عليها القانون، المجلس الوطني مثالاً.

٢. توفير الهيكليات لتعزيز مبدأ المساواة بين الجنسين من النواحي المادية والإنسانية، وتمكين الممولين من أداء مهامهم.

٣. ضمان الشروط اللازمة لاختيار مرشحين، لتولي المناصب على أساس الكفاءة والتمثيل الاجتماعي، وذلك لاستبعاد أي محاولة في عدم محاصصة المرأة.

– وضع آليات تسمح برفع مستوى التعليم لدى النساء، والحد من حجم الأعباء المنزلية، وتنظيم حملة واسعة لمحو الأمية، والعمل في الوقت ذاته على تثقيف المرأة سياسياً ومدنياً، كتعليمها القوانين الأسرية والإدارة السياسية والمدنية للموارد، والحد من الولادة. وهذه الحملة تطال النساء والرجال على حد سواء.

– تطوير وتعزيز الجمعيات والشبكات النسائية، من خلال وضع هيكلية دائمة، تربط ما بين النساء العاملات في المجال السياسي، واللاتي يعملن في منظمات المجتمع المدني.

– التشجيع على المشاركة في الحياة السياسية من خلال ممارسات جدية وفاعلة.

– تشجيع الحكومة على احترام التزاماتها الوطنية والإقليمية والدولية فيما يتعلق بالمساواة بين الجنسين.

ثانياً: راوندا:

توصيات موجهة للحكومة:

– تطوير برنامج لتعزيز القدرات لدى الكيانات اللامركزية، ووضع خطط مالية تشمل الجنسين.

– تخصيص خبير معروف في موضوع المساواة بين الجنسين، للإشراف على وضع السياسات والاستراتيجيات المتعلقة بالمساواة بين الجنسين، وتحديد الأدوار والمسؤوليات والوحدات والجهات الفاعلة.

– تعزيز قدرة مسؤولي الوزارة المعنية بقضايا المساواة بين الجنسين على مستوى المنطقة، لتمكينها من دعم ورصد تعميم مراعاة المنظور الجنساني في خطط التنمية والميزانيات في الكيانات اللامركزية، وتحليل العقبات التي تواجه المجتمعات في السيطرة على العمل العام، والبدء باستراتيجيات الدعم اللازمة.

– تطوير برنامج للتعليم المستمر، ورفع مستوى التوعية العامة في مجال المساواة بين الجنسين، وذلك من أجل الحد من مقاومة التغيير ودعم التقدم. وينبغي أن يتضمن البرنامج أيضاً تثقيف الأُسر لتعزيز تعليم الفتيات.

– العمل على تطوير المؤشرات الكمية والنوعية، لقياس التغيرات في المساواة بين الجنسين على المستويات الفردية والمؤسساتية والمجتمعية.

–دعم الدراسات والتحليلات التي تهدف إلى وضع استراتيجيات وخطط وبرامج تسمح بتخفيف عبء العمل عن المرأة، وتسمح لها بالانخراط أكثر في هيئات صنع القرار، وتذليل العقبات التي يمكن أن تمنعها من المشاركة في اتخاذ القرارات.

توصيات موجهة للمجلس الوطني ولمنظمات المجتمع المدني:

– دعم النساء وتشجيعهن على وضع استراتيجيات تتعلق بالمساواة بين الجنسين.

– التشجيع على إنشاء شبكات من القيادات النسائية على مستوى الكيانات اللامركزية، ومساعدتهن في التعمق في تحليل العقبات التي تحول دون مشاركتهن، والتخاطب مع هيئات صنع القرار.

– وضع برامج تدريبية لتعزيز القدرات القيادية للمرأة في مواقع صنع القرار، أو المرشحات المحتملات لشغل هذه المناصب.

توصيات موجهة للرابطة الرواندية للسلطات المحلية (RALGA):

– الاهتمام بالمشاريع الرامية إلى تعزيز المساواة بين الجنسين في الحكم المحلي، والاستفادة من تجارب المناطق الأخرى.

ثالثاً: جمهورية الكونغو الديمقراطية:

– تعزيز عمل المنظمات النسائية ومنظمات المجتمع المدني، وإجراء دراسات متعمقة حول المشاركة السياسية للمرأة في المجتمع على الصعيد الوطني.

– إنشاء هياكل سياسية شاملة وممثلة، من خلال تعزيز وجود المرأة في مؤسسات الدولة والأحزاب السياسية وهياكل المجتمع، واعتماد قانون التكافؤ وتنفيذه بشكل فعال، لتمكين وصول المرأة إلى المجال السياسي.

– تشجيع التنشئة السياسية للمرأة، وتحويل السلوك السياسي للنساء والرجال، من خلال تعميم المساواة بين الجنسين في برامج وأنشطة الوكالات المختلفة، التي تعمل بصورة خاصة على التنشئة الاجتماعية عبر المدرسة ووسائل الإعلام والمؤسسات الدينية.

– توطيد العلاقة بين الداخل والخارج من خلال خلق آلية تجمع بين الجهات الحكومية، والمنظمات النسائية، والمجتمعات المحلية، ومنظمات المجتمع المدني على نطاق أوسع، والعمل على تغيير وضع المرأة السياسي في خطط البناء الوطني.

رابعاً: أوغندا:

– جعل المساواة بين الجنسين عنصراً محورياً في تصميم وتنفيذ برامج الإنعاش الاقتصادي في شمال أوغندا.

– توفير التنمية المؤسساتية الاستراتيجية للنساء: وهذا يتطلب تدريب عدد كبير من النساء، على كيفية تقديم عطاءات في المناقصات، وإنشاء شركات ومشاريع مشتركة

– تثقيف المجموعات النسائية في الشؤون السياسية، وتدريبهن على المشاركة بفعالية، في مختلف مستويات صنع القرار، وتشكيل التحالفات والائتلافات بين الأطراف.

– إعادة بناء الذكورة الإيجابية: وذلك من خلال تعبئة الرجال والفتيان، وحثّهم على الانخراط في الأنشطة الرامية إلى مكافحة العنف ضد المرأة. وهناك أيضاً حاجة ملحّة لتعبئة الرجال من أجل الاهتمام والمحافظة على الأسرة.

سوريا
وطن تساهم المرأة في تحريره وبنائه

رنا خليل

خلال حكم آل الأسد لم يكن للسوريات عامةً شأن كبير في السياسة، ولم تصل إلى السلطة الرسمية السورية إلا النساء اللواتي يندرجن في سياق البنية التسلطية للدولة، أو الراضيات بصورية مناصبهن، فوضعن كظلال في الحكومات أو مناصب الدولة المدعاة لاستكمال هيكل وهمي.
وجاءت الثورة السورية واقترحت مساحة تتسع للجميع، حضور النساء والفتيات منذ بداية الثورة السورية جسّد حالة غير مسبوقة، فقد انتقلن من غريبات عن السياسة إلى قياديات في خضم أعظم الثورات المعاصرة، وصعدن خشبة صناعة الحدث بكثافة غير معهودة.
لم تبدأ ثورة السوريين قومية ولا دينية، وإنما طبقية ومنادية بالحريات، وشعارات حقوق الإنسان المنطوية ضمناً على حقوق المرأة، وإن تساوى الرجل والمرأة في الظلم تحت حكم النظام البعثي، لكن واقع المرأة اصطبغ ببؤس آخر كونها تعيش في مجتمع ذكوري. لم تكن المطالبة بحقوق المرأة وجهاً معلناً في أهداف الثورة بل كانت ضمنية، والسبب هو أن إسقاط النظام بقي أولوية الثورة السورية وكان لأي تشعب عن هذا الهدف أن يشتت الجهود. بحماسة الموعودات بدورٍ أكبر في سوريا الحرة، بحياة أفضل بعد انتصار الثورة، وبمتسع أكبر ليعملنَ وينجزن، شاركت النساء السوريات في الثورة السورية منذ صيحة الحرية الأولى، واحتضنّ الثورة بأفراحها ومآسيها بزخمٍ لم ينته.

السوريات في الثورة .. صوت الثورة الحق

مع أن الإعلام لم يسمح لنا بالتعرف على أهم المناضلات في الثورة السورية كأمهات الشهداء والمعتقلين وناشطات الإغاثة والإسعاف والمعتقلات وهن قلب الثورة السورية وروحها، لكنه أتاح لنا التعرف على أبرز الوجوه النسائية من المشاركات والداعمات للثورة السورية،

لم تبدأ ثورة السوريين قومية ولا دينية، وإنما طبقية ومنادية بالحريات، وشعارات حقوق الإنسان المنطوية ضمناً على حقوق المرأة.

وعلى السياسيات السوريات وهنّ صوت الثورة وصورتها في الإعلام، وإن أغفل بعضهن وبالغ في إبراز بعضهن الآخر. ومن أوائل السوريات حضوراً في الثورة السورية: منتهى الأطرش صحفية وناطقة باسم «المنظمة السورية لحقوق الإنسان» من أوائل من جهروا بموقفهم ضد النظام في الثورة، فداء حوراني معتقلة سابقة بسبب توليها رئاسة إعلان دمشق للتغيير الديمقراطي، سهير الأتاسي تعرضت للاعتقال وهي عضو المجلس الوطني السوري، المحامية رزان زيتونة حازت على جائزة ابن رشد لحرية الفكر، خولة دنيا كاتبة ومن أهم الناشطات في المجال الإغاثي، الكاتبة سمر يزبك، حازت على جائزة (هارولد بينتر) لكتاباتها الأدبية عن الثورة، بسمة قضماني أستاذة العلاقات الدولية بجامعة باريس، فدوى سليمان شاركت في مظاهرات حمص وهددت بالقتل، الباحثة فرح الأتاسي مديرة أعمال ومستشارة إعلامية تدعم الثورة بشكل مستقل، لويز عبد الكريم فنانة هددت بالقتل بعد توقيعها بيان الحليب، الدكتورة رفاه الناشد محللة نفسية اعتقلت وهي تبلغ من العمر ٦٦ عاماً، الشاعرة لينا الطيبي وهي عضو المجلس الوطني السوري، تغريد الحجلي عضو المجلس الوطني السوري، الممثلة مي سكاف اعتقلت وصدر بحقها حكم بالتحريض على القتل والإرهاب، يارا صبري ممثلة كان موقفها صريحاً وحاسماً لن تتراجع عنه، عانت التضييق من النظام لوقت طويل، الناشطة مروة الغميان اعتقلت مع بداية الثورة، المدونة رزان الغزاوي اعتقلت وحازت الجائزة السنوية للمدافعين عن حقوق الإنسان من دبلن. إن نحن استمرينا في البحث عن تلك الأسماء التي حفرت عميقاً في الوجدان السوري، سنحصي الكثير وسيبقى الأكثر، آلاف الطبيبات والمهندسات والمحاميات والمدرسات أعلين من حضور الأنوثة السورية الباهرة، وانتزعن الحضور بلا غرور.

ماذا قدمت المرأة السورية للثورة؟

شاركت النساء في التظاهرات السلمية ضد نظام بشار الأسد منذ بداية الثورة، جنباً إلى جنب مع الرجال، وانخرطت المرأة في جميع النشاطات الثورية وساهمت في جميع مراحلها بأدوار متعددة كناشطات وطبيبات وإعلاميات ومعتقلات، والآن مع تراجع النشاطات الثورية السلمية وسيادة لغة السلاح، وبالرغم من أن النساء لا يلعبن دوراً ذا أهمية في القتال، فإنهن يلعبن دوراً أساسياً في الحفاظ على قوّة الثورة وصيانتها، فالمعركة اليوم لا تُخاض بالأسلوب العسكري التقليدي فحسب، وإنما تخاض على

رزان زيتونة

سمر يزبك

منتهى الأطرش

محاور عدة لاسيّما عندما يكون خطر اعتداءات النظام في كل مكان وكل شيء. أصبحت المرأة السورية موجودة على كافة الجبهات، جبهة القتال، في المدارس والملاجئ، والمستشفيات المتنقلّة في كافة أنحاء سوريا.

تقول سارة، وهي ناشطةٌ سورية شابة: «أن تكون السورية ناشطة هو بحد ذاته خطر على حياتها، فأغلب الناشطات كان مصيرهن الاعتقال، كالناشطة (طلّ الملوحي) وغيرها من المعتقلات اللواتي تتراوح أعمارهن بين ١٢ و ٦٠ سنة، اعتقلن على الحواجز أو بهدف الضغط على إخوانهن الذين يعملون لصالح الثورة. ولا تزال آلاف المعتقلات في سجون النظام حتى هذه اللحظة».

تقول سلمى، وهي ناشطة تعمل في مجال الإعلام: «أصبح لعمل المرأة في الإعلام الأثر الأقوى، فقد يوصل الإعلامي السوري صوت الشعب ومطالبه وأوجاعه، لكنه لن يستطيع أن يوصل ما يخص المرأة السورية كما تفعل بلسانها هي».

أن تكون السورية ناشطة هو بحد ذاته خطر على حياتها، فأغلب الناشطات كان مصيرهن الاعتقال

أما كنانة، وهي طبيبة فتقول: «لم يقتصر دورنا كطبيبات على وجودنا في المستشفيات فقط، بل أيضاً في المشافي الميدانية التي تستقبل الجرحى والمصابين جراء القصف. كنا نرى أشلاء الجثث، ونرى إصابات وحوادث لم نرها من قبل، وكانت الممرضة وهي غالباً متطوعة هي يدنا اليمنى ومساعدتنا في كل ما نحتاجه».

المرأة أولى ضحايا النظام

أشارت معظم التقارير الدولية الصادرة عن منظمات حقوق الإنسان منذ بداية الثورة، إلى أن المرأة السورية أولى ضحايا هذا النظام، وغالباً ما تكون المرأة الضحية الأولى لأي صراع، ويتم استخدام الاغتصاب من قبل الطرف المسيطر كأداة للانتقام، واستهداف النساء عمداً من باب التكتيك العسكري الرادع أو الصادم.

يتحدث علاء وهو ناشط سوري عن رأيه كشاب ثائر بدور المرأة في الثورة السورية: «لولا مشاركةً المرأة السورية في هذه الثورة المباركة لما كان لها أن تستمر، فهي التي باركت لأبنائها خروجهم، لم تحبط عزيمتهم ومدتهم بالدعم والدعوات، وهي التي ساهمت برعاية الجرحى، ومدت الثوار بالعزيمة، لقد كانت تلك الأم التي وصفها درويش حين قال: (أجمل الأمهات

أجمل الأمهات التي انتظرت ابنها فعاد مستشهداً، فبكت دمعتين ووردة .. ولم تنزِ في ثياب الحداد

عادة النساء هن حاملات خطاب السلام، وهو ما يحتاجه المجتمع السوري الآن، ولاحقاً بعد كل ما ستخلفه الحرب من الحقد والاحتقان.

التي انتظرت ابنها فعاد مستشهداً، فبكت دمعتين ووردة .. ولم تنزِ في ثياب الحداد)، هي الأخت المتحمسة والمعتقلة والشهيدة ، هي التي أضفت على كل قسوة الثورة ذلك الحضور البهي المغموس بالأنوثة الجليلة».

وطننا يحتاج لأنثى

فرض النظام على الساحة السورية خلال سنين حكمه وعلى الأخص خلال الثورة هيمنة ذكورية تجلت بكم العسكرة التي أنتجها، والمتمثلة بالأب القائد الأوحد كطوطم مشوه حشر نفسه في السياق، واستطاع النظام مستنداً على بنيته هذه جر الثورة إلى حرب ذكورية، وجدت صداها بكم العدوان وما ينتج من انتقام مضاد، يحيلنا المشهد هنا إلى استبعاد الصيغة الأنثوية

لويز عبد الكريم

رزان غزاوي

سهير الأتاسي

في التعامل مع الحياة، صيغة البناء والاستقرار وإنتاج الحياة. عادة النساء هن حاملات خطاب السلام، وهو ما يحتاجه المجتمع السوري الآن، ولاحقاً بعد كل ما ستخلفه الحرب من الحقد والاحتقان. يقول الأستاذ عاصف، وهو أستاذ في علم الاجتماع: «المرأة التي حفظت لنا بعضاً من قيمنا الإنسانية والأخلاقية، حفظت لنا الجمال وسط شراهة القبح، والابتسامة النضرة من رحم الأوجاع السورية الكثيرة وما أمس حاجتنا للفرح والجمال».

مكانةٌ سياسيةٌ أنثوية لاتليق بحضورها الثوري

بينما تقود النساء الكثير من الحركات السلمية والمدنية، تصبح الثورة مسلّحةً أكثر فأكثر، وإسلامية الطابع يوماً بعد يوم. ومع تزايد العنف تراجع الحراك المدني بشكل كبير، يتراجع دور النساء البارز فيه، وقد ساهمت محاولات أسلمة الثورة في تراجع هذا الدور تدريجياً. ومع أن المرأة لم تعد تقف في الخطوط السياسية والعسكرية الأمامية، فهي تلعب أدواراً مهمة في المشافي ومراكز الإعلام، وتنظيم طرق إنعاش إنسانية للمهجرين، تتحدث السيدة نوال، وهي إعلامية قائلة: «الحرب مع كونها تراجعاً للسياسة، هي أيضاً تراجع لقيم المدنية والديموقراطية وتراجع لأحلام التحرر، وحين تتصدر المشهد قيم العنف، التبعية والطاعة، التعصب والحقد، حضور القوة والخشونة، الرجال الأشداء مقابل المعتدلين، يكون هناك تكثيفٌ متصاعد لمشهد الذكورة المحاربة، وتغييبٌ تدريجي للأنوثة خلف الحجب السوداء».

«لا تأمل النساء السوريات في إسقاط النظام فحسب، بل كذلك في ضمان حماية حقوق النساء في أية حكومة ستُشّكل»

ما تتوق له النساء في سوريا الجديدة

حضور المرأة الأصيل في الثورة، يعكس توقها إلى بلد حر مدني ديمقراطي، لها فيه من الحقوق بقدر ما عليها من الواجبات كما الرجل، هذا ما عبرت عنه بعض اللافتات التي رُفعت في أولى المظاهرات: (هل سيتخلص الرجل من العقلية الأسدية بسقوط النظام؟) فالمرأة تدرك بأن التغيير الجذري لا يحدث بسقوط النظام فقط، وإنما بتغيير العقلية المسيطرة على المجتمع، والتي لاتزال ذكورية إقصائية. تقول الأستاذة لينا وهي محامية: «لا تأمل النساء السوريات في إسقاط النظام فحسب، بل كذلك في ضمان حماية حقوق النساء في أية حكومة ستُشّكل. ورغم أنّ السوريين معتادون رؤية محاميات، وطبيبات، وقضاة من العنصر النسائي، فإنّ القوانين التي ترعى الزواج، وإجازة الأمومة، والطلاق، تحتاج الى الإصلاح لتكون أكثر عدلاً».

تحلم نساء سوريا وفتياتها أن يكون ما تعبر به سوريا اليوم من حزن وألم وخسارات باباً لدولة قانون ومواطنة يعبّر فيها الجميع عن وجودهم، أفكارهم، أحلامهم، نساء ورجالاً وأطفالاً، سوريون يعيشون على أمل يمكن أن يتحقق.

يارا صبري

خولة دنيا

نوران الغميان

وجوه..
معرض في اسطنبول لهبة عيزوق

تحت عنوان «وجوه» افتتح في الخامس عشر من كانون الثاني ٢٠١٤ معرض للفنانة السورية هبة عيزوقي، في غاليري شيربين Cherrybean في مدينة اسطنبول، ويستمر المعرض حتى نهاية شباط الجاري.

جاء في بروشور المعرض: «في هذه الحياة لا وجه يشابه الآخر.. ووجوهي مستمدة من الواقع بشكل فضولي، هي دواخلنا التي تضم كل المشاعر الإنسانية من قلق، انتظار، أمل، فرح وغيرها.. فأنا لا أقدم عرضاً ذاتياً، بل أحاول الوصول إلى أعماق الآخر وأجسده في لوحتي، فالوجه هو مرآة الروح، يعكس ما بداخل النفس من انفعال. ولوحتي تحصر القبح والجمال في بورتريه للكشف عن حقيقة الإنسان المخبأة في دواخله مبتعدة كل البعد عن إظهار تفاصيل الوجه المجردة، لأجسد الملامح الإنسانية في بعدها النفسي، والتي تعبر عن غربتنا الذاتية والنفسية..».

– يضم المعرض ثمانية وأربعين عملاً (تصوير أكريليك على قماش)، تتراوح أحجامها بين ٣٠*٣٠ إلى ١٢٠*١٤٠، وعشرة أعمال (مائية على الكرتون)، وثلاثة عشر عملاً (حفر على الحجر والخشب والمعدن) بأحجام مختلفة.

يتجلى في المعرض جوهر الإنسان الذي يتجرد بوضوح في وجهه، فالوجه حسب هبة: «هو الصندوق الزجاجي الذي مكنني من الدخول إلى أعماق الآخر لأجسده في لوحتي».

وعن عناوين اللوحات تقول هبة: «كانت مستقاة من الانطباع النهائي الذي تتركه اللوحة في داخلي... فبعض اللوحات هي من قالت لي اسمها..»، أما توجه اللوحات فواحد بحكم أنها تتحدث عن موضوع واحد.

يذكر أن «وجوه» هو المعرض الفردي الثاني لهبة والأول في اسطنبول، بعد معرضها في أربيل عام ٢٠١٢ .

هبة عيزوق من مواليد مدينة السلمية عام ١٩٨٦، خريجة كلية الفنون الجميلة جامعة دمشق – قسم الحفر ٢٠٠٩ ،كان لها العديد من المشاركات في معارض جماعية داخل وخارج سوريا.

تختم هبة بالقول: «كانت خطوة مهمة بالنسبة لي إقامة معرض في اسطنبول، والتواصل عن طريقه مع الفن والفنانين الأتراك وغير الأتراك، فاسطنبول مدينة مفعمة بالفن والحياة. وأنا أشكر مجلة (سيدة سوريا) على اهتمامها بالمعرض بشكل خاص، والفن بشكل عام بالرغم من كل ما يحيط بنا».

عالية منصور: الشارع السوري متقدم عن ممثليه السياسيين ومتقبل للمرأة أكثر من المعارضة السياسية

حاورتها سيدة سوريا

على هامش اجتماع الهيئة العامة للائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، عضو الائتلاف عالية منصور تتحدث لسيدة سوريا حول وضع المرأة السورية في الثورة، تمثيلها السياسي، موضوعة الكوتا، وتحمل المرأة حصة من المسؤولية، ضعف حضورها وتمثيلها.

بين الأمانة العامة للمجلس الوطني والائتلاف، ما الذي تغير في أداء عالية منصور السياسي؟

لطالما اتهمت بالتحيز للموقف السياسي للمجلس، القصة أني أرى أن الأداء السياسي كان يتمتع حينها بجدية أكبر، فعلى سبيل المثال كنت أرى جدية في اجتماعات الأمانة العامة للمجلس أكثر بكثير من اجتماعات الائتلاف، تحديداً فيما يتعلق بالوقت. كانت الثورة في بدايتها، وكنا في كل ما نتناوله أقرب للشارع، لم يكن موجوداً كل هذا الانقسام والاستقطاب السياسي الحاد، كنا ثورة ونظام، واليوم نحن ثورة ونظام ومعارضات، وهذا ما لم نشعر به سابقاً مع أن المعارضة لم تكن موحدة حينها.

كيف تصفين وضع المرأة في انتخابات المعارضة؟

اللوم في ما يتعلق بالمرأة يقع بجزء كبير منه على المرأة نفسها، فالمرأة تسمح أحياناً أن تستخدم كحجة، في أول توسعة للمجلس كان المفروض أن يكون هناك تمثيل نسائي داخل الكتل السياسية بموافقة الجميع، لكن في لحظة الانتخاب قبلت أن تدخل الأمانة العامة فقط كونها امرأة بعيداً عن توجهاتها السياسية، وهذا لأننا لا نملك ثقافة قدرة المرأة على التواجد كممثل عن مكون سياسي لا كامرأة. شخصياً أنا ضد المحاصصة الطائفية والعرقية والجندرية، المرأة هي مكون ذو توجه قد يتأرجح بين أقصى اليمين وأقصى اليسار، بين الليبرالية، العلمانية أو الخط الإسلامي، وعليه ليس من المنطقي أن تكون ممثلاً عن المرأة، فالنساء لسن جميعاً على توجه واحد. نحن هنا اليوم لأننا لم نحترم هذا التفصيل، وسمحنا أن يتم استخدامنا فيما يسمى كوتا نسائية، نحن نرضى بمقعد أو مقعدين ثم نعود لطرح الكوتا كحق لنا في الاستحقاقات اللاحقة. هذه ليست الطريقة الصحيحة للعمل على قضية المرأة، التي تحتاج إلى توعية اجتماعية وثقافية، وتعريف للمرأة بمهامها وحقوقها. على المرأة التوقف عن الظهور بمظهر الكائن الضعيف الذي لا يتعاطى إلا الشأن الإنساني، في الوقت الذي تعمل فيه الكثير من النساء في السياسة والإغاثة، وحتى في الجانب الطبي الميداني، العمل السياسي يكون بفرض وجهة النظر خارج نطاق العواطف والمحاصصة.

تشغل نورا الأمير اليوم منصب نائب رئيس الائتلاف، لماذا لم تترشح عالية لهذا المنصب، وما هو مقدار ثقتكم بنورا واستعدادكم لدعمها؟

نورا ممثلة عن الحراك الثوري في الداخل، وهي أكثر فئة ظلمت في التمثيل. أنا غادرت سوريا قبل ست سنوات من اندلاع الثورة، مارست العمل السياسي كمعارضة باكراً، لكننا نحتاج لمن ينقل واقع المرأة في الداخل، ونورا هي الأفضل كونها كانت هناك، وتعرضت للاعتقال، لذلك هي أكفأ مني في تمثيل نساء الداخل. أنا استطيع نقل وجهة نظر سياسية أكثر مما أستطيع تمثيل المرأة كمرأة فقط، وأنا مستعدة لدعم نورا بكل ما أستطيع فعله.

عالية لا تقبل الترشح كامرأة وإنما كسياسية، هل كنت لتقبلي لو تم ترشيحك من الكتلة التي تنتمين إليها؟

أولاً، أنا مستقلة سياسياً، وكثيرون تحدثوا إلي بشأن الترشح، الفكرة هي أنني أترشح عن مقعد المرأة، ولو كان الترشح على مقعد ثان تتاح فيه منافسة الرجل لترشحت، لكننا سبعة نساء، وليس من المنطقي أن أنافس الأخريات على مقعد واحد، مقابل خمسة مقاعد للرجال، لماذا لا تفتح المنافسة دون تمييز؟ يأخذ الرجال خمسة مقاعد ويحصروننا في مقعد! دعونا نفتح باب المنافسة، فقد نحصل كنساء على مقعدين أو ثلاثة بدلاً من مقعد واحد.

لماذا لا تحدد كوتا لتمثيلكن في الهيئة السياسية والرئاسة؟

طرحت هذه النقطة، وكان الطلب هو أن تشغل النساء نسبة ٣٠ بالمائة من الهيئة السياسية. الهيئة السياسية بدون المكتب الرئاسي تضم ١٤ عضواً، أي يجب أن نكون ٤ من أصل ٧ نساء موجودات في الائتلاف، واحدة منهن نائب رئيس، وهذا ليس مقبولاً برأيي الذي قد لا أكون مصيبة فيه، والذي قد لا يعجب النساء الأخريات، لكن ألا تكون لي كفاءة سوى كوني امرأة، لماذا؟ هل سيدخلوننا جميعاً لتلوين الجلسات؟؟! بإمكاننا كنساء طرح المبادرات لمشاريع سياسية ومشاريع للتمكين الاقتصادي، لكن حتى نطالب بـ ٣٠ بالمائة للهيئة السياسية، كان علينا المطالبة بهذه النسبة للهيئة العامة للائتلاف، حتى يكون حضورنا في الهيئة السياسية بهذه النسبة تحصيلاً حاصلاً. نحن أمام استحقاقات أهم من قضية نسبة التمثيل في هذه المرحلة. ربما لو كنا في الهيئة السياسية كلنا نساء، كنا اتخذنا قرارات حاسمة ولم نضيع الوقت، لكن أن نطالب بـ ٣٠ بالمائة للهيئة، ونحن ٥ بالمائة في الهيئة العامة، فهذا ليس منطقياً.

خارج إطار المجلس الوطني والائتلاف والتكتلات السياسية، كيف تقيّمين دور المرأة منذ بداية الثورة حتى اليوم؟

الشارع السوري متقدم عن ممثليه السياسيين، وهو متقبل للمرأة أكثر من المعارضة السياسية. المرأة ند في كل شيء، لقد التقيت بعناصر من الجيش الحر أخبروني بمشاركة النساء لهم. في كل

المجالات كانت المرأة شريكة، ونحن اليوم أمام المواقع التي يجب أن تشارك فيها بالقرار السياسي، لكنها لا تملك الدافع الكافي لتقوم بذلك، فضلاً عن رغبة الكثير من الرجال بإقصائنا.

كيف تقيّمين عمل شبكة المرأة السورية؟

لم نلتق كثيراً، ولست على اطلاع بتفاصيل عملهن، لكن اللوم لا يقع عليهن لأني لست ميالة لعمل يحصرني بتمثيل جندري، ويمثل المرأة كحالة، ولكن إذا كان يحق لي فأنا أنصحهم بالعمل على أرض الواقع، بعيداً عن آلية العمل التقليدية، وتحديداً مع النساء ضحايا ما يحصل في سوريا، من نازحات وأرامل وبنات شهداء ومغتصبات. بالنسبة لي لا أحتاج من يعرفني بحقوقي لأني أعرفها وأعرف كيف أحصل عليها، لكن نحن بحاجة لتوعية النساء اللواتي يتعرضن للانتهاك بشكل يومي بحقوقهن، إن أردنا تفعيل دور المرأة في المجتمع، فلا يكفي أن نتعاطى مع النخب، لأننا سنتحول حينها إلى مجتمع مريض.

بالنظر إلى واقع النساء السوريات من معتقلات وأرامل، ما الذي تتوقعينه من جنيف كاستحقاق؟

لا أدري إن كانت هناك نية لحلول في جنيف٢، منذ أكثر من عامين ونصف أطلقت عدة مبادرات تدعو لإطلاق سراح المعتقلات، ولكن النظام لم يستجب. أرجو أن نصل لحل سياسي، لكن النظام الذي يقتل حمزة الخطيب بهذه الطريقة، ويعتبر أنه يحارب الإرهاب، هو نظام لا يفهم بالسياسة، ولا بد من امتلاكنا لورقة قوة في وجهه. إحدى أوراق القوة برأيي هي الرأي العام العربي والدولي، وإيصال صوتنا إلى العالم. لا أدري ماذا ستكون إجابة أي مسؤول أوربي لو سألناه: ماذا يعرف عن المرأة السورية؟ لا أدري إن كانوا يعلمون عدد معتقلاتنا، وما تتعرض له نساؤنا في ظل التقصير الإعلامي الكبير.

ما هي الآليات التي تقترحينها لتغيير واقع النساء السوريات، وإلى من تتوجهين بها؟

إلى النساء أنفسهن، أقترح عليهن النزول إلى الأرض، الأرض ليست فزاعة، ألا تستطيعين في أوقات فراغك زيارة الأماكن القريبة من عنتاب، والعمل مع السوريين في الشأن الذي تريدينه؟ في بداية تشكيل المجلس الوطني كانت لي تجربة مع الجرحى، ذهبت بمبادرة شخصية لزيارة مشفى يضم جرحى سوريين، كان منهم من رفض الجلوس معي، وبعد بفترة اتصلوا بي لطلب الدواء غير المتوفر، وطلبت من المجلس الوطني تبني المستشفى وفعل، وصرت أزور المشفى باستمرار، بعد حوالي شهرين تلقيت العديد من الرسائل من نفس الجرحى الذين رفضوا مقابلتي، والذين اعتبروا أن المجلس أهانهم في البداية بإرسال امرأة، شكروني فيها على المساعدة. مازلت أحتفظ برسالة أحدهم، وتعني لي الكثير، فهو يقول: «آمنا أن المرأة هي نصف المجتمع». الفكرة أنني لم أتخذ موقفاً من رفضهم لاستقبالي، بل فرضت نفسي، لأن لهم علي حقاً بأنهم قاتلوا من أجل حريتي، وأصيبوا، وبعضهم باتت لديه إعاقات دائمة، لذا أرى عدم التراجع أمام أول صعوبة، بل التقدم بتصميم نحو أي عمل نريده.

العديد من منظمات المجتمع المدني تدرب مجموعات نسائية اليوم على المفاوضات وفض النزاعات، والعمل السياسي والسلم الأهلي، ما مدى فعالية هذه الورشات برأيك مع العلم أن الكثير من الوجوه تتكرر فيها؟

من أجل موضوع التكرار غالباً أني لم أقتنع بهذه الورشات، في بداية الثورة كنا بحاجة لدورات إعلامية وتوثيقية للناشطين الموجودين في الداخل، نحتاج اليوم لمدربين في الداخل والمخيمات يعرفون الناس في هذه المناطق بحقوقهم. وما يهم اليوم هو أن تكون هناك لجان في الداخل، وفي المخيمات، للتوثيق وتقديم الإحصاءات الطبية والإغاثية، أما الخضوع للدورات بشكل متواتر، بحيث أستفيد ولا أفيد، فهذا ليس مقبولاً. النساء في الداخل هم الفئة الأكبر اليوم، لدينا أكثر من ١٥٠ ألف زوجة شهيد، هؤلاء بحاجة لمن يحدثهن ويتحدث عنهن. لدينا معتقلات ومغتصبات، وقضيتهن لا بد من طرحها بجرأة، يكفينا الاختباء خلف أصابعنا، الكثير من المشكلات على الأرض لا يمكن حلها بمجرد اتباع الدورات. الظهور على الإعلام ممكن، الشهرة عبر الفيسبوك ممكنة أيضاً، لكن العمل الحقيقي لا يكون إلا على الأرض.

رسالتك للنساء السوريات؟

لا تخفن ولا تسمحن بإرهابكن، لا تتركن حتى للشائعات أن تبعدكنّ، بادرن مرة بعد مرة، ولن تستمر محاولات إقصائكن. كل من يقصي المرأة عدو للحرية، فلا حرية بدونها وهي نصف المجتمع، لا تسمحن بتخويفكن بهذه العقلية المتحجرة. إياك والنظرة الدونية لذاتك، فهي وحدها التي تسمح للآخر بالنظر إليك بدونية واستصغار. تمسكي برأيك وناضلي من أجله، ولا بد أن يصل صوتك.

مفهـــوم الجنـــدر

مية الرحبي

يقول ابن رشد (١١٢٦ – ١١٩٨ م) في (جوامع سياسة أفلاطون): علينا أن لا نخدع بأن المرأة تبدو في الظاهر صالحة للحمل والحضانة فقط، فما ذلك إلا لأن حالة العبودية التي أنشأنا عليها نساءنا، أتلفت مواهبهن العظيمة. يجب على النساء أن يقمن بخدمة المجتمع والدولة قيام الرجال، فإن الكثير من فقر العصر وشقائه، يرجع إلى أن الرجل يمسك المرأة لنفسه، كأنها نبات أو حيوان أليف، لمجرد متاع فان، بدلاً من أن يمكنها من المشاركة في إنتاج الثروة المادية والعقلية وفي حفظها.

وبرأيي أن ابن رشد هو أول من وضع أسس مفهوم الجندر، والذي لم يتبناه المجتمع الغربي إلا في الربع الأخير من القرن العشرين أي بعد حوالي ثمانية قرون من اهتداء ابن رشد إليه.

لقد كان ابن رشد سباقاً في طرح التأثيرات الثقافية والاجتماعية على المرأة، والتي تأتي من التربية وليس من طبيعة تكوينها البيولوجي، إلا أن عصور الانحطاط اللاحقة التي خيمت على المجتمعات العربية دفنت كل تلك الأفكار وغيرها تحت أكداس من القيم المتخلفة المريضة، ولم نستفد نحن من أفكار مفكرينا المبدعين كابن رشد وتركنا غيرنا يؤسس عليها فكراً نهضوياً تنويرياً. إذ بدأ عدد من الفلاسفة وعلماء الانثربولوجيا وعلماء الاجتماع، في عصر النهضة الأوربية بمحاولة تطوير نظريات وأفكار ورؤى للوصول إلى مجتمعات الحق والعدالة لمصلحة الإنسانية جمعاء، ومن هنا بدأ العلماء يسبرون التاريخ لمعرفة كيف انتقل الإنسان من العصر الأمومي الذي سادت فيه المشاعية والملكية العامة، وانعدمت فيه الحروب ومحاولة سيطرة الإنسان على أخيه الإنسان، إلى النظام البطريركي الأبوي الذي اقترن بظهور الملكية الخاصة وتسلط الإنسان على الإنسان، وسيطرة الرجل على المرأة، وبالتالي حدوث النزاعات والحروب سعياً للتملك والهيمنة.

وبدأ يتضح من الدراسات الأنثربولوجية والسوسيولوجية اختلاف الأدوار الاجتماعية بين الذكر والانثى باختلاف الأزمنة والمجتمعات، وظهر ذلك جليا في أبحاث كثيرة كأبحاث مورغان، الذي درس السلوك والأنماط والأدوار الاجتماعية لدى قبائل الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين، ليلاحظ اختلاف تلك الأدوار حسب تطور العلاقات الاجتماعية السائدة، بين النظام الأمومي أو النظام الأبوي، والأنظمة الوسيطة المتدرجة بينهما، إذ لاحظ اختلاف الأدوار الاجتماعية لكل من الذكر والأنثى، حسب درجة تطور المجتمع، وتبعه في ذلك عدد كبير من علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع.

إن الاختلافات البيولوجية بين الذكر والانثى لا تعني بأي حال من الأحوال تفضيل جنس على آخر، وإلا وجب اعتبار المرأة أفضل من الرجل لقدرتها وعدم قدرته على الانجاب، أو الرجل أفضل من المرأة بسبب قوته العضلية

وكان لكتاب «الجنس الآخر» لسيمون دي بوفوار الدور الكبير في بداية تبلور مفهوم «الجندر» حيث أشارت إلى أن صفاتنا النفسية والاجتماعية وأدوارنا لا تولد معنا بل نكتسبها من خلال التربية والثقافة المحيطة فدور المرأة والرجل قد يختلف من مكان إلى مكان باختلاف ثقافة تلك المنطقة، كما أنه يختلف باختلاف الزمان، وقد لخصت طروحاتها تلك في مقولتها الشهيرة «لا يولد الإنسان امرأة، إنما يُصبح كذلك» ولم تكن تدري آنذاك أن هذا المفهوم سيصبح الخلفية الفلسفية الأساسية لدى الكثير من الحركات النسائية التي تبنته وعملت على إدماجه في كافة مجالات الحياة والتنمية،

على اعتبار أنه المنطلق الأهم لتجريد جنسي الذكورة والأنوثة من كافة الفوارق الاجتماعية التاريخية التي يمكن أن تكون سبباً في أي تمييز بين الرجال والنساء.

بدأ مفهوم الجندر يتضح في السبعينات أكثر فأكثر، ثم تبلور في الثمانينات من القرن الماضي، بعد أن دُرس من قبل العلوم الاجتماعية عموماً، والسوسيولوجيا تحديدا، لتحليل الأدوار والمسؤوليات والمعوقات لأدوار الرجل والمرأة داخل المجتمع الانساني.

ما هو الجندر أو النوع الاجتماعي؟

الجندر كلمة لاتينية في الأصل تشير إلى الجنس (أي اختلاف الجنس بين الذكر والأنثى)، لكنه أخذ كمصطلح في علم الاجتماع مفهوماً محدداً يشير إلى الأدوار الاجتماعية لكل من الذكر والأنثى.

إذ لا يخفى على أحد أن هنالك اختلافاً بيولوجياً بين الذكر والأنثى، ويتجلى هذا الاختلاف في الأعضاء والوظيفة الجنسية، ففي حين يشترك جسد المرأة والرجل في بنية جميع الأجهزة (أجهزة الدوران والتنفس والهضم والإطراح والجهاز العصبي...) يختلفان عن بعضهما في بنية جهاز التكاثر والأعضاء الجنسية، ما يخص المرأة بالوظيفة الإنجابية، التي اختلف تقييمها باختلاف الأزمنة والمجتمعات، ففي حين كانت هذه الوظيفة مدعاة لتقديس المرأة عند بعض الشعوب في التاريخ القديم، كانت مصدرا لتحقير المرأة وتهميش دورها لدى شعوب أخرى، في أزمنة أخرى.

لقد أثبت العلم أن الاختلاف الطبيعي الوحيد بين الذكر والأنثى هو في تلك الوظيفة، أما الاختلافات الأخرى من حيث الطباع أو الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها كل من الذكر والأنثى، فذلك ليس مرتبطاً بالاختلافات البيولوجية أو الفيزيولوجية الموجودة في جسد كل من الذكر والأنثى، بل بسبب عوامل اجتماعية صنعها البشر بأيديهم، فمثلا عندما نقول أن عدد النساء الأميات أكثر من عدد الرجال الأميين في مجتمع ما، فذلك ليس ناجما عن

كونهن ينجبن الأطفال، بل لأنهن لم يرسلن إلى المدارس للتعلم، والدليل على ذلك أنه في حال إرسال البنت إلى المدرسة للتعلم، فإنها تتعلم مثلها مثل الذكر تماماً بل قد تتفوق عليه.

أي أن هنالك عوامل اجتماعية وسياسية وثقافية لعبت دوراً في تحديد الفروق بين المرأة والرجل ليس على أساس الاختلاف البيولوجي وإنما على أساس اختلافات صنعها البشر عبر تاريخهم الطويل.

إن الاختلافات البيولوجية بين الذكر والأنثى لا تعني بأي حال من الأحوال تفضيل جنس على آخر، وإلا وجب اعتبار المرأة أفضل من الرجل لقدرتها وعدم قدرته على الانجاب، أو الرجل أفضل من المرأة بسبب قوته العضلية، وعلى هذا المبدأ يمكن اعتبار أي مصارع ضخم غبي أفضل من أهم عالم أو مخترع ضئيل الحجم.

فالمشكلة هنا في اعتبار قدرات المرأة من الناحية الاجتماعية والسياسية والثقافية والذهنية أقل من قدرات الرجل بسبب الاختلاف البيولوجي بينهما، وبالتالي إعطاء الرجل مكانة أفضل من المرأة، وإعطائه الحق في السيطرة عليها وتقرير مصيرها، وهذا هو ما يطلق عليه التمييز على أساس الجندر أو النوع الاجتماعي. فالجندر أو النوع الاجتماعي إذا هو وصف لخصائص الرجال والنساء المحددة اجتماعياً، في مقابل تلك المحددة بيولوجياً، والتي يعبر عنها بلفظ الجنس. لقد صنع البشر على مدى قرون طويلة هذه الفروق في الأدوار الاجتماعية وكرسوها، حتى غدت حقائق مطلقة، صدقتها النساء أنفسهن، وبتن يتصرفن على أساس أن مكانتهن الانسانية أقل من مكانة الرجل، وأعدن إنتاج هذا المفهوم في عملية التربية.

تتغير خصائص النوع الاجتماعي بتغير المكان أو الزمان، أو العوامل الاجتماعية والثقافية المتغيرة والمتنوعة، على عكس الوظائف المتمايزة جنسيا (الإخصاب، الحمل، الإرضاع).

فعملية التربية والتعليم هي التي تلقن الصبي أو البنت مبادئ السلوك التي تحدد الفروق والأدوار والمواقف والنشاطات وكيفية الاتصال مع الآخرين، وهذا السلوك المكتسب بالتربية والتعليم هو الذي يشكل الهوية الجندرية لكل من الذكر والأنثى، ويحدد بالتالي الأدوار

الجندرية.

إن الاعتقاد بأن الصرامة والخشونة والقدرة على الحسم واتخاذ القرار والشهامة والإباء والكبرياء (وكل هذه الصفات تختصر في الثقافة العربية بكلمة رجولة) صفات رجولية، والنعومة والتقلب والسلبية وعدم القدرة على اتخاذ القرار وعدم الحسم والخضوع والخنوع صفات أنثوية، هو اعتقاد من صنع البشر لا الطبيعة، فالأدوار الاجتماعية تختلف من بلد لآخر، بل ومن مجتمع لآخر في نفس البلد، أو حتى من حي لآخر ضمن نفس المدينة، حسب الثقافة السائدة والعادات والتقاليد والوضع الاقتصادي، والدليل على ذلك، قدرة أي فلاحة في الريف على عزق الأرض تحت الشمس الحارقة، أو حمل رزمة من الحطب، والقيام بأعمال زراعية مجهدة لا يستطيع أي رجل مديني القيام بها.

وتتفاوت نسبة العنف لدى الصبيان مثلا حسب البيئة التي ينشؤون بها، فالصبي الذي يعيش في بيئة اجتماعية فقيرة ترمي به لينشأ في الأزقة والحواري، يختلف في خشونته وقوته مثلا عن صبي نشأ مدللا في بيئة اجتماعية مرتاحة مرفهة، لاضطرار الأول للدفاع عن نفسه غالباً، في حين يجد الثاني من يحميه ويؤمن له مصالحه دائماً، وهنا لا نستغرب أن يصف الأطفال الذين نشأوا في البيئة الأولى، الطفل المدلل من البيئة الثانية بأنه «يشبه البنات». لقد أثبتت الدراسات الاجتماعية عدم ثبات الفروق بين المرأة والرجل باختلاف الأزمنة، فالأدوار التي تقوم النساء بها حالياً، كجلوس امرأة على منصة أمام حشد من الرجال والنساء، وإلقائها محاضرة ما، أو وقوف مهندسة فوق منشأة ما لتوجيه عمال البناء، أو قيام جراحة في غرفة العمليات بشق بطن مريض، كان يعتبر ضرباً من الخيال قبل مائة عام.

فالجندر إذا هو أداة تحليلية تفسر العلاقات بين النساء والرجال وتداعيات هذه العلاقات وتأثيرها على دور ومكانة المرأة في المجتمع، وهو عملية دراسة العلاقة المتداخلة بين المرأة والرجل في المجتمع، والتي تحكمها عوامل مختلفة اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية ودينية، تؤثر على طبيعة ومردود وتقييم العمل الذي يقوم به كل من المرأة والرجل في المجتمع.

جرائم الحرب والإبادة الجماعية

انتهاك لميثاق الأمم المتحدة والقانون الإنساني الدولي

المحامية: أ.ملك قاسم

إنّ مايحدث في سوريا من قتل ممنهج، وتدمير وهدم للبيوت وتهجير للناس باستخدام مختلف أسلحة الدمار الشامل منذ مدة طويلة، ورغم استمرار كلام العالم والمجتمع الدولي حولها، دون أن يظهر على أرض الواقع شيء ملموس للحل، بل على العكس، لم نشهد إلا مزيداً من القتل بأبشع صوره، وأكثرها قساوة، مما لم يشهد له التاريخ مثيلاً، ويمثل أكثر الانتهاكات خطورة لحقوق الإنسان، فما موقف القانون الدولي الجنائي والإنساني والاتفاقيات الدولية من كل هذه الانتهاكات الصارخة، والخروقات لكل المواثيق الدولية؟ وهل تشكل جرائم حرب وإبادة جماعية وجرائم ضد الإنسانية؟ وماهي هذه الجرائم، وما أركانها؟ هذا ما نحاول توضيحه، فماهي جريمة الحرب؟

«جريمة حرب» تعني الخروقات الخطيرة لاتفاقيات جنيف الموقعة عام ١٩٤٩م، وانتهاكات خطيرة لقوانين الحرب، متى ارتكبت على نطاق واسع في إطار نزاع مسلح دولي أو داخلي. ولقد نظمت اتفاقيات جنيف، التي عقدت على أربع مراحل من عام١٨٤٦م، حتى ١٩٤٩م، الأعمالَ التي تصنف كجرائم حرب، ونصت الاتفاقية الرابعة على حماية المدنيين في حالة الحرب، والحفاظ على حقوقهم المدنية، واعتبرت هذه الاتفاقيات مرجعية لتحديد ما إذا كانت الأعمال التي تجري من قبل إحدى القوى التي تدخل في حرب قد قامت بجرائم حرب، وتعتبر هذه الاتفاقية ملزمة بموجب القانون الدولي، وجرى على أساسها تعقّب العديد من القادة العسكريين والسياسيين، لمحاكمتهم إما محلياً أو في المحكمة الجنائية الدولية، التي تأسست عام ٢٠٠٢م، وتختص بمحاكمة الأفراد الذين يرتكبون جرائم حرب، وجرائم إبادة جماعية.

هل حددت اتفاقيات جنيف أنواع هذه الجرائم؟ بالتأكيد فقد حددت أنواع جرائم الحرب بشكل مفصل، نذكر منها:

١. تعذيب الأسرى والمعتقلين، أو إساءة معاملتهم، أو إعدامهم، والنظام السوري ارتكب جرائم تكاد لاتحصى من هذه الجرائم، نذكر منها: القتل تحت التعذيب لأحد عشر ألف معتقل، و»جريمة نهر قويق بحلب» والعديد غيرها.

٢. الجرائم الموجهة ضد المدنيين، كاغتصاب النساء والتعدي على الممتلكات الشخصية، وارتكب النظام السوري جرائم من هذا القبيل أيضاً باستهدافه لأماكن المدنيين بكل أشكال أسلحة الدمار، والتعدي على الممتلكات وتدميرها.

٣. التشريد والتهجير القسري.

٤. التعذيب والإبادة الجماعية.

كل هذه الجرائم ارتكبها النظام السوري بحق شعبه بشكل ممنهج، ونستخلص من ذلك أن جريمة الحرب هي كل فعل أو امتناع عن فعل صادر عن جهة مدنية أو عسكرية تنتمي لأحد أطراف النزاع، تقع ضد أشخاص أو ممتلكات عامة أو خاصة، إبان النزاع المسلح، مع كون هذه الأفعال تشكل انتهاكاً صريحاً لقوانين أو أعراف الحرب، وهذه القوانين قد تكون صريحة أو عرفية.

وهناك العديد من النصوص التي وضعت قواعد الحرب نذكر منها: اتفاقية باريس ١٨٥٦م، اتفاقية جنيف ١٨٦٤م، اتفاقيتي لاهاي ١٨٩٩م و١٩٠٧م، اتفاقيات جنيف الأربعة لعام ١٩٤٩م، البروتوكولين الإضافيين لاتفاقية جنيف ١٩٧٧م.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ماهي أركان جريمة الحرب؟

إن أركان هذه الجريمة لاتختلف عن أركان سائر الجرائم العادية، فلابد من توفر الركن المعنوي، والركن المادي، ويضاف إليهما الركن الدولي، وهو ما يميزها عن الجريمة العادية.

أما الركن المادي في جريمة الحرب، فيتكون من عنصرين هما :

توفر حالة الحرب، وارتكاب أحد الأفعال التي تمنعها قوانين الحرب وأعرافها. ومن أهم الأفعال المادية التي تشكل جريمة حرب، الانتهاكات الجسيمة لاتفاقيات جنيف، مثل:

- القتل العمد.
- التعذيب والمعاملة اللاإنسانية، بما في ذلك إجراء تجارب بيولوجية.
- تعمُّد إحداث معاناة جسيمة، أو إلحاق أذى خطير بالجسم أو الصحة.
- تجنيد الأطفال دون الـ١٥ سنة، إلزاماً أو طواعية.
- تدمير ممتلكات العدو، أو الاستيلاء عليها.
- أخذ الرهائن.

وأما الركن المعنوي، فالمقصود به هو أن توفر القصد الجنائي العام فقط يكفي لقيام الجريمة، ويتمثل القصد العام في العلم والإرادة، وإن مايقوم به نظام الأسد من جرائم بحق شعبه هو عن علم، وبمحض إرادة بارتكاب هذه الجرائم، مما يجعل هذا الركن والقصد الجرمي قائماً.

أما بالنسبة للركن الدولي، فيكون في حال وجود نزاع مسلح بين دولتين أو أكثر يهدد السلم والأمن الدوليين، وإن ما يجري في سوريا يشكل تهديداً للسلم والأمن الدوليين، مما يجعل من هذا الركن أيضاً متوفراً في الأعمال الإجرامية التي يرتكبها نظام الأسد.

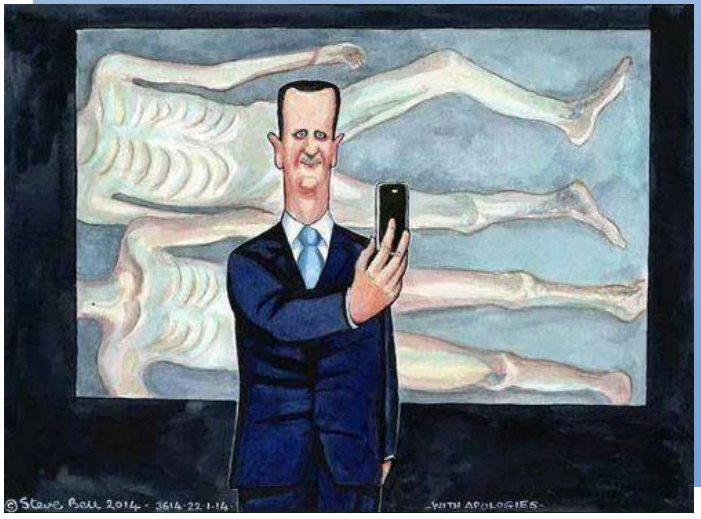

جريمة الحرب في ظل المحاكم الدولية المؤقتة والمحكمة الجنائية الدولية:

جاء النص على جرائم الحرب في كل من «المادة ٤» من نظام محكمة رواندا، و«المادة ٢» من نظام محكمة يوغسلافيا، وجاء التأكيد على أننا حتى نكون بصدد جريمة حرب، لا بد من وجود نزاع مسلح، «ولم توضح المحكمتان طبيعة النزاع»، والمساس بحقوق الفئات المحمية، والخروقات المرتكبة أثناء سير الأعمال العدائية.

أما فيما يخص «نظام روما الأساسي» (النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية)، فقد نصت «المادتان ٥ و٨» على جرائم الحرب، وجاء في النص تحديد الأفعال التي تشكل جريمة حرب، وهي تتضمن الانتهاكات لكل من اتفاقيات جنيف الأربعة والبروتوكولين الإضافيين لاتفاقيات جنيف.

ومن حيث النتيجة، نستخلص مما بيناه من خلال تعريف جريمة الحرب وأنواعها وأركانها، أنها تنطبق بشكل كامل على مايرتكبه النظام الأسدي الطاغية بحق الشعب السوري، وعليه، فإننا نضع المجتمع الدولي أمام مسؤولياته لمحاكمة النظام السوري على الجرائم ضد الإنسانية، وجرائم الحرب، وجرائم الإبادة التي ارتُكبت وترتكب كل يوم، وفي كل ثانية، على مرأى ومسمع من العالم بحق الشعب السوري.

إن مطالب الشعب السوري التي تسببت له بالمعاناة المريرة، هي حق يكفله ميثاق الأمم المتحدة، والمواثيق والأعراف الدولية، ويتماشى مع مبدأ حق تقرير المصير، وإن النظام السوري فقد شرعيته باعتدائه الصارخ على أفراد الشعب السوري، وإعمال آلة القتل والتدمير فيهم. إن من حق الشعب السوري تقرير مصيره واختيار حكومته بمحض إرادته، إعمالاً لقواعد القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة، فهل يتحرك العالم الحر لإنهاء المجازر في سوريا، ويتحمل المجتمع الدولي مسؤوليته، أمام شعوبه وأمام التاريخ؟

المحكمة الجنائية الدولية (محكمة جرائم الحرب)

المحكمة الجنائية الدولية تأسست سنة ٢٠٠٢ كأول محكمة قادرة على محاكمة الأفراد المتهمين بجرائم الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب وجرائم الاعتداء. تعمل هذه المحكمة على إتمام الأجهزة القضائية الموجودة، فهي لا تستطيع أن تقوم بدورها القضائي ما لم تبد المحاكم الوطنية رغبتها أو كانت غير قادرة على التحقيق أو الادعاء ضد تلك القضايا، فهي بذلك تمثل المآل الأخير. فالمسؤولية الأولية تتجه إلى الدول نفسها، كما تقتصر قدرة المحكمة على النظر في الجرائم المرتكبة بعد ١ يوليو/تموز ٢٠٠٢، تاريخ إنشائها، عندما دخل قانون روما للمحكمة الجنائية الدولية حيز التنفيذ.

وهي منظمة دولية دائمة، تسعى إلى وضع حد للثقافة العالمية المتمثلة في الإفلات من العقوبة – وهي ثقافة قد يكون فيها تقديم شخص ما إلى العدالة لقتله شخصا واحدا أسهل من تقديمه لها لقتله مئه ألف شخص مثلاً، فالمحكمة الجنائية الدولية هي أول هيئة قضائية دولية تحظى بولاية عالمية، وبزمن غير محدد، لمحاكمة مجرمي الحرب ومرتكبي الفضائع بحق الإنسانية وجرائم إبادة الجنس البشري.

بلغ عدد الدول الموقعة على قانون إنشاء المحكمة ١٢١ دولة حتى ١ يوليو ٢٠١٢ «الذكرى السنوية العاشرة لتأسيس المحكمة»، وقد تعرضت المحكمة لانتقادات من عدد من الدول منها الصين والهند وأمريكا وروسيا، وهي من الدول التي تمتنع عن التوقيع على ميثاق المحكمة.

تعد المحكمة الجنائية هيئة مستقلة عن الأمم المتحدة، من حيث الموظفين والتمويل، وقد تم وضع اتفاق بين المنظمتين يحكم طريقة تعاطيهما مع بعضهما من الناحية القانونية.

وقد فتحت المحكمة الجنائية تحقيقات في أربع قضايا: أوغندة الشمالية وجمهورية الكونغو الديمقراطية والجمهورية الأفريقية الوسطى ودارفور. كما أنها أصدرت ٩ مذكرات اعتقال وتحتجز اثنين مشتبه بهما ينتظران المحاكمة[١].

يقع المقر الرئيس للمحكمة في [[هولاندا لكنها قادرة على تنفيذ إجراءاتها في أي مكان. وقد يخلط البعض ما بين المحكمة الجنائية الدولية ومحكمة العدل الدولية والتي تدعى اختصاراً في بعض الأحيان المحكمة الدولية (وهي ذراع تابع للأمم المتحدة يهدف لحل النزاعات بين الدول)، لذلك لابد من التنويه إلى أنهما نظامان قضائيان منفصلان.

المدعي العام للمحكمة هو فاتو بنسودا حاليا[٢] وسابقا كان المحامي الارجنتيني لويس مورينو اوكامبو

مقر المحكمة مدينة لاهاي غرب مملكة هولندا وهي مقر للعديد من المنظمات الدولية، مثل منظمة حظر الأسلحة الكيميائية، وتعتبر لاهاي عاصمة العدالة في العالم ومقرا لمعظم ما يخص القضاء الدولي، والمحاكم الدولية المؤقتة والدائمة كمحكمة مجرمي الحرب في يوغسلافيا السابقة، ومحكمة جرائم الحرب في سيراليون، والمحكمة الدولية الخاصة بلبنان وقضية اغتيال رفيق الحريري والمحكمة الجنائية الدولية ومحكمة لوكربي، وقد تم اختيار (سجن إسخيفينن) في لاهاي سجناً لاحتجاز المتهمين ليمثلوا أمام تلك المحاكم أو لقضاء فترة عقوبتهم فيه بعد إدانتهم.

الأطفال.. من شرارة الثورة إلى تقديم الدليل القاطع على جرائم حرب يقترفها النظام

سحر حويجة

يجب أن يكون لكل طفل محروم من حريته الحق في الحصول بسرعة على مساعدة قانونية، وغيرها من المساعدت اللازمة، فضلاً عن الحق في الادعاء أمام محكمة أو سلطة محايدة مختصة ومستقلة، من أجل البت بسرعة في حال حرمانه من الحرية.

بدأت شرارة الحراك الثوري في سوريا بعد تعذيب وحشي تعرض له طلاب من مدينة درعا في أقبية المخابرات السورية، على خلفية ما كتبوه من شعارات ضد النظام تعبر إلى درجة كبيرة عن براءتهم، متأثرين بما يجري من حولهم في دول الربيع العربي، فتيان كان من الصعب عليهم تصور ردة فعل النظام الاستبدادي نتيجة حداثة سنهم، وعدم إدراكهم للواقع السوري الذي صاغه النظام من أجل حماية نظامه وسلطته إلى الأبد، والضرب بيد من حديد إلى كل من تسول له نفسه التطاول على السلطة حتى لو كان مزاحاً، حتى لو كانوا أطفالاً، لا هم لهم بالسلطة وأهلها، كل همهم الحصول على حماية ورعاية أفضل، ضماناً لحقوقهم والاهتمام بهم على أنهم الأمل، وعليهم يبنى مستقبل الوطن.

لكن النظام السوري تعامل مع هؤلاء الطلاب على أنهم مجرمين، حتى يكونوا عبرة لغيرهم من كافة فئات المجتمع، ضارباً عرض الحائط بالقوانين النافذة في سوريا، ومنها اتفاقية حقوق الطفل، التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٩٠، ووقعت عليها الدولة السورية على أساس احترام المبادئ القانونية التي تقوم عليها ووجوب تطبيقها، وجاءت المادة الثالثة من الاتفاقية لتلخص المبادئ العامة التي تقوم عليها الاتفاقية، والتي تنص على أنه: «في جميع الإجراءات التي تتعلق بالأطفال، سواء قامت بها مؤسسات الرعاية الاجتماعية العامة أو الخاصة، أو المحاكم أو السلطات الإدارية، أو الهيئات التشريعية، يجب أن يولى الاعتبار الأول لمصالح الطفل في التربية والحضانة والتعليم وحرية الرأي والصحة والغذاء» كما أكدت المادة الخامسة عشرة من الاتفاقية على حق الطفل في التعبير عن رأيه وعلى حرية تكوين الجمعيات وحرية الاجتماع السلمي، حيث لم يخرج هؤلاء الفتية عن حقهم في التعبير السلمي.

أما المادة ٣٧: فقد نصت على أن تكفل الدول الأطراف الآتي:

أ ـ ألا يتعرض أي طفل للتعذيب، أو لغيره من ضروب المعاملة القاسية واللاإنسانية والمهينة.

ب ـ ألا يحرم أي طفل من حريته بصورة غير قانونية أو تعسفية، ويجب أن يجري اعتقال الطفل أو احتجازه وفقاً للقانون، ولا يجوز ممارسة الاعتقال إلا كملجأ أخير، ولأقصر فترة زمنية مناسبة.

كما يجب أن يعامل كل محروم من حريته بإنسانية واحترام، وبطريقة تراعي احتياجات الأشخاص الذين بلغوا سنه.

كما يجب أن يكون لكل طفل محروم من حريته الحق في الحصول بسرعة على مساعدة قانونية، وغيرها من المساعدت اللازمة، فضلاً عن الحق في الادعاء أمام محكمة أو سلطة محايدة مختصة ومستقلة، من أجل البت بسرعة في حال حرمانه من الحرية.

لكن النظام رد بالعنف وأراده خياراً، لأنه يملك من أسلحة التدمير ما يكفي ليحقق انتصارات حتى لو كانت وهمية، وجلبت له لعنة التاريخ، نتيجة كل هذه الخسائر التي لحقت بالمجتمع وقواه الحية الاجتماعية والاقتصادية، بعد ما يقارب ثلاثة أعوام، دفع خلالها المدنيون ثمناً غالياً نتيجة القصف الصاروخي المدمر وبراميل الموت التي ترميها الطائرات،

والقنص، والقذائف العشوائية، وصل الأمر إلى استخدام الكيماوي، وإذا جاء الموت عشوائياً واختار ضحاياه صدفة، فهي جرائم حرب تدين الفاعل، إذا كان الضحايا من المدنيين، ولا قيمة لكل التصريحات التي يطلقها النظام ليبرر أفعاله الصريحة أمام جميع دول العالم، على أنه بهذه الوسائل الفتاكة يحارب الإرهاب، ويطلب الدعم بدلاً من محاسبته. لكن الحقيقة ستبقى ساطعة لأن أهل الشهيد يعرفون من هو قاتله، فمنهم من استشهد نتيجة البراميل المتفجرة والصواريخ، ومنهم من استشهد نتيجة القصف أو قضى تعذيباً أو قنصاً أو جوعاً أو في مجزرة أو بالكيماوي.

إن قتل الأطفال سواء بالمجازر أو القصف العشوائي هو الدليل الأكبر والأهم على ارتكاب جرائم حرب، يقترفها النظام بحق المدنيين الأبرياء، لأنه مهما ملك النظام حججاً قوية على أكاذيبه، فهو لن يقنع عاقلاً بأن الآلاف من الشهداء الأطفال يمكن أن يكونوا إرهابيين، بعد أكثر من أحد عشر ألف طفل قتلوا في سوريا.

المعلومات التي يملكها الأطفال لن تكون إلا على سبيل الاستئناس، عندما يكون السؤال حول معلومة وصلتهم بطريقة ما من الكبار، قياساً على الشهادة التي لا تكون مقبولة قانوناً من الصغار تحت سن الخامسة عشرة إلا على سبيل الاستئناس.

وقد أثارت مستشارة الأمن القومي لدى النظام سخرية العالم، عندما صرحت لتبرر اعتقال عشرة آلاف طفل على أنهم جواسيس للإرهابيين، مما يشير إلى الانتقام والحقد على الأطفال بسبب انتمائهم إلى مناطق معينة، أو بسبب نسبهم في حال ربطتهم علاقة قربى بأحد مقاتلي المعارضة، ضاربة عرض الحائط بكل القوانين الناظمة للتعامل مع الأطفال. إلا أن واقع الحال في سوريا يشير إلى الحقد الدفين الذي يدفع الأطفال ضريبته في المعتقلات السورية، حيث يعجب المرء كيف أن مسؤولاً في هذه السلطة يتهم أطفالاً في عمليات تجسس! وأي عاقل

هذا الذي يستند على معلومات تأتي من الأطفال؟ فالطفل لا تقبل شهادته في القانون. لأن المعلومات التي يملكها الأطفال لن تكون إلا على سبيل الاستئناس، عندما يكون السؤال حول معلومة وصلتهم بطريقة ما من الكبار، قياساً على الشهادة التي لا تكون مقبولة قانوناً من الصغار تحت سن الخامسة عشرة إلا على سبيل الاستئناس.

كما أن قانون الأحداث رقم ١٨ لعام ١٩٧٤ ينص على الأصول الخاصة بالتوقيف، وأماكن التوقيف، وكيفية إجراء محاكمة الأحداث، بما يضمن مصالح الحدث، وهذا ما نصت عليه المادة الثالثة من قانون الأحداث الجانحين التي جاء فيها أنه «إذا ارتكب الذي أتم السابعة ولم يتم الثامنة عشرة أي جريمة من الجرائم، فلا تطبق بحقه سوى التدابير الإصلاحية المنصوص عليها في هذا القانون، كما يجوز الجمع بين عدة تدابير اصلاحية، ويكون حبس الحدث في أماكن خاصة»، والواقع في سوريا أكثر من خمسمائة طفل أعدموا ميدانياً.

أما فيما يتعلق بمحاكمة الحدث وإجراءات المحاكمة، فوفق القانون السوري، يجب أن تجري محاكمة الحدث أمام محاكم تدعى محكمة الأحداث.

إن ظروف الاعتقال التي يخضع لها السوريون، سواء كانوا أطفالاً أو كباراً، تفتقد إلى الحد الأدنى من الشروط الإنسانية، حيث إن الكثير من المعتقلين يتمنون الموت من هول التعذيب والتجويع الذي يتعرضون له، ومنهم الآلاف قضوا تحت التعذيب، أو نتيجة التجويع المقصود أن ينتهي بالموت.

ولا يختلف حال الكثير من الأطفال المحاصرين في المناطق التي خرجت من تحت سيطرة النظام عن الأطفال المعتقلين، وقد مات العشرات منهم من الجوع، وهذه جريمة نكراء ومقصودة بدافع القتل والتخلص من سكان هذه المناطق، مهما كانت صفتهم كباراً صغاراً، عزّلاً أم مسلحين.

وأخيراً، فالأطفال السوريون كانوا الشرارة في الثورة، أوليس من المنطق أن تكون الجرائم التي لحقت بالأطفال من قتل وتعذيب وتجويع هي الدليل القاطع على جرائم الحرب وجرائم الإبادة وجرائم ضد الإنسانية اقترفها النظام؟

رزان...

ياسين الحاج صالح

الفتاة النحيلة الخجولة كانت تستند إلى جدار رواق داخلي في «قصر العدل» في دمشق، هذه صورتها الأقدم في ذاكرتي، وأظنها تعود إلى عام ٢٠٠١، علمت وقتها أنها محامية متدربة، وناشطة في مجال حقوق الإنسان. جاءت رزان من خارج بيئات المعتقلين السياسيين السابقين والمعارضة التقليدية، لكنها دخلت أجواء العمل العام بسرعة، وحافظت في الوقت نفسه على استقلالية فكرية وأخلاقية كبيرة.

بعد حين، بدأت رزان الكتابة؛ كتبت مواد حقوقية وسياسية، تجمع بين روح بالغة الصفاء، وبين إحاطة وتمكّن لا يكفّان عن التحسن. لم تجد أية صعوبة في أن تصير كاتبة مقروءة ومطلوبة للمساهمة في منابر متنوعة، حسّها الإنساني وصدقها وأسلوبها المباشر، واطلاعها الشخصي على القضايا الحقوقية التي تكتب في شأنها، جعلها مرجعاً موثوقاً في قضايا حقوق الإنسان في سوريا.

دون نصب حواجز أمام الغير، تثير رزان مشاعر من الاحترام والتقدير حولها، لكنها شغوفة بالحياة إلى أقصى حد. تدربت قبل سنوات على أنواع من الرقص الغربي: فلامنغو، تانغو... ولها معرفة تبدو طيبة بموسيقات غربية حديثة، تثابر على سماعها أثناء العمل، أما غرامها بالقطط فموضع تندّر عام من أصدقائها. قبل أن يتوفر جهاز إنترنت فضائي في مكان عملها، كانت رزان تحب لعب طاولة الزهر معي، تعد الخانات على أصابعها، وتلفظ أرقام النرد بالعربية، وتخسر أغلب المرات، لكنها تحب اللعب.

منذ بداية الثورة توارت رزان عن أعين النظام، وتفرغت لمتابعة الثورة وتغطيتها وتنظيم الأنشطة الاحتجاجية وإطلاق المبادرات التنظيمية. دورها مؤسس في لجان التنسيق المحلية، ومركز توثيق الانتهاكات، ومبادرات متنوعة للإغاثة ولمساعدة المجتمعات المحلية.

ولم يمنعها هذا النشاط اليومي المكثف من المشاركة الميدانية في العديد من المظاهرات، ١٥ مرة على الأقل، في فترة النضال السلمي حتى مطلع صيف ٢٠١٢. ولم يمنعها انحيازها القطعي إلى الثورة من نقد ومقاومة ميول ونزعات فوضوية أو تعصبية عرضت في مسارها والدفاع عن قيمها المؤسسة. عملت رزان من أجل «مدونة سلوك» خاصة بالجيش الحر في ربيع ٢٠١٢، وقعت عليها مجموعات مقاتلة (جرفتها حرارة الوقائع فيما جرفت)، وزارت شخصياً بعض المجموعات المقاتلة في ذلك الوقت المبكر.

وخلال أكثر من ٢٥ شهراً من الإقامة في دمشق، لم تأخذ رزان إجازة ليوم واحد أو لبضع ساعات. عمل يومي متواصل حتى فجر كل يوم. ١٦ ساعة كل يوم على الأقل، مع قليل من الطعام، وكثير من الدخان، بسبب إيقاع العمل هذا، ومصادر الإحباط والتعطيل المتواترة، كنت أخشى عليها من المرارة، قلت لها ذلك غير مرة، وأظنها طورت آليات مقاومة نفسية، تحول دون أن تنقلب هازئة شكاكة مريرة، أو غاضبة محترقة.

لم تتأخر رزان عن بدء العمل من جديد حين قدمت تهريباً إلى دوما في الأسبوع الأخير من نيسان ٢٠١٣، بدأت فوراً اللقاء بالناس والعمل على تأمين موارد لمساعدة أسر محتاجة، وبعد أقل من شهر كان لديها مكتب وإنترنت فضائي، وشبكة اتصالات محلية وخارجية واسعة جداً.

لا تتكاسل أبداً عن أي عمل ميداني أو إعلامي أو توثيقي، يمكن أن تجدها بعد الساعة ١٢ ليلاً في مشفى، تجمع شهادات من تعرضوا لهجوم بالسلاح الكيماوي، أو تقابل أطباء، أو تلتقي بقادة تشكيلات مسلحة وتحاورهم (أبو صبحي طه، أبو علي خبية...). وفي مجتمع ذكوري كمجتمعنا، استطاعت رزان دوماً أن تجعل كل من يراها ويتعامل معها يرى عملها ويتعامل مع عملها. كانت تبدو ممحوة الجنس فعلاً في كل ما تقوم به، ومن جهتي كنت أتساءل: من أين تأتي بكل هذه الطاقة، وكل هذا الوضوح في الرؤية، في أوضاع بالغة التعقيد والعسر؟

رزان زيتونة

ليست شخصاً صدامياً، يسعى وراء الظهور أو المغايرة المجانية، لكن رزان كانت مصرة على أن لا تغير شيئاً من مظهرها كامرأة سافرة في مدينة محافظة كدوما، مدينة كانت فوق ذلك تطور ضرباً متشدداً من التدين كوسيلة تكيُّف ومقاومة للعدوان الأسدي والحصار، وكآلية تعايش مع الموت اليومي.

لم تعلّق رزان بكلمة على هجمات مسفّة أو أشد إسفافاً تعرضت لها من هواة تسفيه ومحترفين، ودون أسباب مفهومة غالباً، كانت تشعر بشيء من الألم بسبب بعض تلك الهجمات، لكنها كانت تجتاز الأمر دوماً بسهولة.

مع سميرة في الغوطة، شكلت المرأتان ثنائياً متغايراً ومتكاملاً؛ كانت سميرة تلطف وقع أسلوب رزان الصارم أحياناً، ورزان توفر لسميرة بيئة عمل عام مثمرة.

إن كانت القيم المحركة والمؤسسة للثورة تتمثل في شخص واحد، فهو في رأيي بلا شك رزان زيتونة، المناضلة والحقوقية والكاتبة، والمرأة. لقد جمعت روح الكرامة والعدالة والنزاهة في شخصها وعملها، وإرادة الحرية والاستقلال الفكري والسياسي، والترفع الكلي على الطائفية والتعصب، وأخلاقية عمل وإيقاع عمل نادرين في مجتمع سوري تعوّد التراخي والتواني والخمول، وهذا مع بعد تام عن التذمر والشكوى، ومع تواضع وتفانٍ أصيلين.

لذلك لا يمكّن لمن اختطف رزان، ومعها سميرة ووائل وناظم، إلا أن يمثل كل ما هو معاد للثورة على مستوى القيم وعلى مستوى المآلات. فإذا كانت رزان رمز كرامة الثورة السورية بحق، فإن مختطفيها هم عار الثورة، وشركاء في الخسة لعار سوريا الأسدي.

شهادة معتقلة

لبنى زاعور

بعد الانتهاء من التحقيق والتعذيب، ينتهي شعور الندم، ويتحول لإصرار شرس وفرح بما فعلناه دون أدنى شعور بالندم.

لكن للصدق أثناء التحقيق في أول يوم، وعند إدخالنا إلى مكتب النقيب سهيل، شعرت بخوف وندم ورعب، تلاشى بعد الانتهاء من التحقيق.

أنا من الأشخاص الذين لم يتحملوا شدة التهديد والوعيد والترهيب في أول يوم من الاعتقال، وأثناءالتحقيق معي تعرضت لانهيار عصبي، مما خفف من وتيرة التحقيق والتعذيب قليلاً.

يحقق مع المعتقلين عدد من المحققين والضباط، وكل محقق له طريقته، حقق معنا عدد من المحققين، ضربونا وتعرضنا للشتائم والتهديد.

في المعتقل أكثر ما يعملون عليه هو انهيار نفسية المعتقل، عن طريق إدخال هواجس الرعب إلى قلبه، أسوأ أساليب التعذيب وأكثرها استنزاف لنفسيته.

أما عن أساليب التعذيب الجسدي، فتختلف حسب الفرع والتهمة الموجهة، ولكن إجمالا كانت التهم خفيفة إلى حد ما في المهجع الذي اعتقلنا فيه، لكن الغالبية تعرضت للضرب والجلد والتعذيب النفسي.

المهجع المجاور كان يحوي على معتقلات تهمهم أكبر، منهن من تعرضت للاغتصاب فعلاً لا تهديداً فقط كما فعلوا بنا.

في مهجعنا أصغر فتاة كانت بعمر ١٩ سنة، وعند الإفراج في قيادة الشرطة أثناء تبادل الأسرى الإيرانيين التقينا بكل المعتقلات المفرج عنهن من كل الفروع،

كانت بيننا فتيات دون الثامنة عشرة تعرضن للتعذيب والضرب المبرح والشبح.

التقينا أيضاً بنساء كبيرات في السن، منهن أم محمد التي فقدت ابنها الشاب ومنزلها، وهي من أصل مغربي متزوجة لرجل سوري.

سارة العلاو ليست الطفلة الوحيدة في أقبية السجون، سلام ذات الوجه القمري طفلة من جبل الزاوية، التقيتها في قيادة الشرطة، عيناها أصفى من زرقة السماء، حفرت يداها وكأن آثار التعذيب تعود ليوم واحد فقط، لكنها آثار عمرها أربعة أشهر، بعضها آثار شبح استمر لأيام، وبعضها آثار للجلد والكهرباء

سلام، كاسمها، طفلة قي الثلاثة عشرة من عمرها، اتهمت باختطاف ضابط وتفخيخ سيارة.

في تلك الأقبية وجوه كثيرة، الجد والأخت والزوجة والطفلة.. الأب والأخ..

تسمع هناك صوت بكاء الرضع، وأنين الحوامل الجائعات، تسمع أنات الرجل المسن وآهات الشاب، وتسمع صوت تململ الطفل الذي اقتيد مع أمه..

أصوات كثيرة من الألم، وصوت واحد يقابلهم هو صوت السجان، لا يتغير ... لا يثيره أي

صراخ، علماً أنه (ليس كائناً فضائياً أبداً)، فلديه أب وأم وأخوة وزوجة وأولاد، لديه قلب ودم، ألا ترون أن أهم نموذج لمرض انفصام هو السجان؟

فيما يتعلق بالمغتصبات، لا يصرح الجميع بتلك الحادثة، نظراً لموقف المجتمع، إحدى المعتقلات وتدعى أم تيم، كان النقيب سهيل يغتصبها بإجرام مطلق، اغتصبها ثلاث مرات أثناء تواجدنا في المعتقل، وضع المغتصبة أصعب من أن يوصف لأن الجميع يغتصبها، المجتمع يغتصبها بنظراته، والرجل يغتصبها بشرقيته، علماً ان ألم الاغتصاب النفسي يتجاوز كثيراً ألم الاغتصاب الجسدي، أول ما تُسأل المعتقلة بعد خروجها: هل اغتصبوك؟ هل تحرشاو بك؟ غير مبالين بما تتعرض له المعتقلة من اغتصاب لكرامتها، ونفسيتها وكيانها، الاعتقال تجربة التفاصيل المؤلمة.

تلك التجربة بكل قساوتها، كانت صقلاً لشخصيتي، لكنها دفعتني للإصرار على طلب الحرية والكرامة.

أخطر ما يحصل الآن هو الترويج الإعلامي لزهق أرواح الأطفال، لقد أصبح القاتل يقول للعالم عبر الشاشات والمكبرات الصوتية: أنا قاتل الأطفال ...أنا قاتل الأطفال

فيما لا يزال العالم صريع المصالح.

الحرية لسارة وسلام

الحرية لكل الأرواح الصابرة في السجون.

ماري كولفن وريمي أوشليك عامان على التضحية

فريق تحرير سيدة سوريا

جذبت أحداث الأزمة السورية، ككل الأزمات التي تخللتها نزاعات مسلحة، عددا كبيراً من الصحفيين والمراسلين، كان الموت مصير الكثيرين منهم، جراء عمليات القصف العشوائي، التي قام بها النظام السوري خلال ثلاث سنوات.

٢٢ الشهر الجاري كان الذكرى الثانية لرحيل الصحفية الأميركية ماري كولفن والمصور الفرنسي ريمي أوشليك، اللذين أصيبا مع عدد من الصحفيين في بابا عمرو بحمص، بقصف صرح الصحافيان الفرنسيان إديت بوفييه ووليام دانييلز حوله لصحيفة لوفيغارو الفرنسية، عن شعورهما بأن القوات السورية استهدفتهم به «بشكل مباشر» من خلال الغارات التي شنتها على مدينة حمص في ٢٢ شباط ٢٠١٢ وأدت إلى مقتل كولفن وأوشليك وجرح آخرين..

ووفق روايتهما حينها فقد «وقعت خمسة انفجارات متتالية على الأقل بفاصل زمني قصير بينها، كان لدينا بالفعل الشعور بأننا مستهدفون بشكل مباشر»، في إشارة الى قصف المنزل الذي كان مستخدماً كمركز للصحافيين في المدينة.

ماري كولفن المولودة في ١٢ كانون الثاني ١٩٥٦، صحفية أمريكية عملت كمراسلة لصحيفة الصاندي تايمز البريطانية منذ عام ١٩٨٦، خلال سنوات عملها غطت العديد من الحروب والنزاعات في بلدان عدة، كالعراق ويوغسلافيا وتيمور الشرقية والشيشان وسريلانكا، التي فقدت فيها عينها اليسرى عام ٢٠٠١، وهي ابنة أحد المقاتلين في كوريا الجنوبية، والذي تحول فيما بعد إلى ناشط في مجال الديمقراطية، لتنشأ هي على المشاركة في تنظيم المظاهرات ضد الحرب على فييتنام.

أما المصور ريمي أوشليك، فقد تدرب في وكالة فوستوك في باريس عام ٢٠٠٣، في أثناء دراسته التصوير في مدرسة إيكارت، وأسس وكالة «آي بي ٣ برس» عام ٢٠٠٥ في باريس، بهدف تغطية أخبار النزاعات في العالم.

في حديث مع «بي بي سي» ليلة وفاتها، قالت كولفن إن ممارسات نظام بشار الأسد لا تستثني حتى الأطفال، وإن شظية اخترقت صدر طفل رضيع، وتركه الأطباء حتى فارق الحياة.

حصد الجائزة الأولى عن فئة المصورين الشباب في احتفالية «فيزا بور ليماج» للتصوير، وجائزة من منظمة وورلد برس فوتو عام ٢٠١٢ على تقاريره حول ليبيا.

وفي عام ٢٠١١ غطى الثورات التي شهدتها جميع دول «الربيع العربي»، ونشرت صوره في العديد من المجلات كان أهمها: باري ماتش،التايم، وصحيفة وول ستريت جورنال.

قبل ساعات على مقتلهما أرسلت كولفن تقريرها الأخير من حمص، حول مقتل طفل أصيب بجروح جراء شظية قذيفة.

وفي حديث مع «بي بي سي» ليلة وفاتها، قالت كولفين إن ممارسات نظام بشار الأسد لا تستثني حتى الأطفال، وإن شظية اخترقت صدر طفل رضيع، وتركه الأطباء حتى فارق الحياة، وهو ما وصفته بالأمر المتكرر. متساءلة خلال الحديث: «لا أحد هنا يفهم لماذا يقف المجتمع الدولي مكتوف الأيدي في ظل حدوث كل هذا؟».

أما في حديث مع «سي إن إن»، فقد وصفت المذابح التي يرتكبها النظام السوري في مدينة حمص قائلة: «إن الجيش النظامي يقصف المدينة بلا رحمة، والناس يموتون في داخلها جوعاً». وأشارت أن هناك أعداداً كبيرة من القناصة يقفون أعلى المباني المحيطة بحي بابا عمرو، وأنهم إن تمكنوا من اكتشاف وجود القناص، فلن يتمكنوا من تحديد المكان الذي ستسقط فيه القذيفة».

آخر نشاط لها كان رسالة نشرتها عبر صفحتها على موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك»، قالت فيها: «إن الحديث عن إمكانية نجاتي من هنا قد يكون أمراً مبالغاً فيه، فالوضع في بابا عمرو مقزز.. إنني لا أفهم لماذا يقف المجتمع الدولي هكذا.. أشعر الآن أنني بلا مساعدة، إلا أنني سأحاول بأية وسيلة جلب المعلومات».

في ٠٤ / ٠٣ / ٢٠١٢ نقل جثمانا ماري وريمي إلى باريس، علماً أن العديد من الصحفيين العرب والأجانب قضوا في سوريا، كان من بينهم اليابانية ميكا ياماموتو، الفرنسي جيل جاكييه، فضلاً عن آلاف الإعلاميين الميدانيين من الشباب السوري الذين قتلوا جراء القصف، القنص، أو تحت التعذيب في سجون النظام.

حملة التلقيح ضد شلل الأطفال في المناطق المحررة تبدأ جولتها الثالثة

فريق تحرير سيدة سوريا

انطلقت صباح الثلاثاء ٢٥ شباط/ فبراير الجولة الثانية من حملة التلقيح الجوالة لمكافحة شلل الأطفال في سوريا «من بيت لبيت» والتي يشرف عليها فريق عمل مكافحة شلل الأطفال الذي يعمل تحت شعار «لِنُنهِ شلل الأطفال في سوريا».

وقد أعلن الفريق الفني المسؤول عن الحملة إتمام التجهيزات الفنية واللوجستية الخاصة بإطلاق الجولة الثالثة، حيث تم نقل وتوزيع اللقاحات المستلمة من قبل الحكومة التركية في ١٥ شباط/فبراير الجاري إلى المراكز المخصصة داخل المحافظات السورية، كما عمل الفريق الفني على توعية أعضاء الفرق الجوالة بالعقبات التي واجهتهم في الجولتين الأولى والثانية، وطرق التغلب عليها، وأتم الفريق المخصص بالتوعية المجتمعية عدة جولات من توعية الأطفال والأهالي بضرورة اللقاح وتكراره لحماية الأطفال من الشلل واستئصال الوباء من سوريا، حسب الصفحة الرسمية للحملة على موقع التواصل الاجتماعي facebook.

وفي حديث للدكتور بشير تاج الدين مع مراسل «سيدة سوريا» أشار إلى أن فريق عمل مكافحة شلل الأطفال في سوريا أنجز جولتين من التلقيح، كانت الأولى في نهاية كانون الأول/ديسمبر الماضي، استلم الفريق من أجلها مليونين ونصف المليون جرعة من لقاح شلل الأطفال، استهدف فيها (١٤٥٠٠٠٠) طفل، تمت تغطية (١٢٥٠٠٠٠) طفل منهم. أما الجولة الثانية فكانت في نهاية كانون الثاني/ يناير، ووصل عدد الأطفال الذين تم تلقيحهم خلالها إلى (١٤٠٠٠٠٠) طفل، و قد استلم الفريق (١٠٠٠٠٠٠) جرعة خصصت لها.

أما الجولة الثالثة فقد استلم الفريق في منتصف الشهر الحالي (١٥٠٠٠٠٠) جرعة لإنجازها وذلك عبر الحكومة التركية.

الدكتور بشير تحدث عن آلية التأكد من تغطية جميع الأطفال في المناطق المستهدفة، موضحاً أنه يتم بطرقتين: «جولات مسح على المناطق من قبل الفرق، وجولات من قبل مراقب محايد يمثل المنظمات الدولية هو الهلال الأحمر القطري الذي يقوم بالمسح بعد فرقنا ويأخذ عينات يقدم تقاريره على أساسها».

وأكد تاج الدين وجوب حصول الطفل على اللقاح في كل جولة، وعزا التفاوت في عدد الأطفال بين الجولتين الأولى والثانية، إلى عدم تمكن الفريق من الوصول إلى بعض المناطق في الجولة الأولى بسبب الاشتباكات في مناطق مثل مسكنة ودركوش، وأضاف: «تمت تغطية هذه المناطق في الجولة الثانية، إضافة لمناطق واقعة تحت سيطرة النظام وصلت فرقنا إليها، وتمكنت من تلقيح بعض الأطفال، لأن هدف الحملة وصول اللقاحات للأطفال بغض النظر عن المنطقة التي يتواجدون فيها».

الحملة غطت عدداً كبيراً من المخيمات على الحدود مع تركيا في جرابلس وباب السلامة وأطمة وباب الهوا، إضافة إلى المخيمات الموجودة في حماه وإدلب.

أما المناطق الواقعة تحت سيطرة تنظيم»الدولة الإسلامية في العراق والشام»، في الجولة الأولى تمت تغطية (١٩١٠٠٠) طفل فيها، وفي الثانية تمت تغطية (٢١٤٠٠٠) طفل.

خاص سيدة سوريا

خاص سيدة سوريا

وحسب الدكتور تاج الدين فإن عناصر الدولة بالمجمل لا يعيقون عملهم، مشيراً أن هناك نساء في الفريق، لكنهن منقبات وفق ما يشترطه «تنظيم الدولة».

ويواجه الفريق العامل على الحملة حسب الدكتور تاج الدين العديد من العقبات، يأتي نقص وسائل الاتصال في مقدمتها، وكذلك القصف المستمر لقوات النظام على العديد من المناطق المحررة سيما حلب وإدلب، «حيث سقط شهيدان في الجولة الثانية هما محمد قلعه جي في حي ميسر بحلب، والدكتور حسام جرّود مشرف مركز سراقب بإدلب، فضلاً عن ٢٧ إصابة في فريق التلقيح بحلب كان بينهم شابة تسبب القصف ببتر ساقها».

الجدير بالذكر أن فريق عمل مكافحة شلل الأطفال نشأ من تضافر جهود وحدة تنسيق الدعم ACU والمجالس المحلية السورية مع مجموعة من المنظمات المحلية والدولية العاملة في الحقل الطبي، ويتألف من (٨,٥٠٠) متطوع منهم (٢٠٠) طبيب، وتقوم الحكومة التركية عن طريق الهلال الأحمر التركي ووزارة الصحة بتأمين اللقاحات اللازمة لإتمام الحملة التي تستهدف الأطفال من عمر يوم إلى خمس سنوات في الأراضي الخارجة عن سيطرة النظام السوري، ضمن سبع محافظات هي دير الزور، الحسكة، الرقة، حلب، إدلب، حماة واللاذقية.

سيدة سوريا تلتقي رئيس الحكومة المؤقتة

د. أحمد طعمة

حاوره ياسمين مارعي
فريق تحرير سيدة سوريا

أحمد طعمة متحدثاً عن تحديات تواجه حكومته على صعيد الوضع الدولي القلق والذي لا زال مشتت الرأي مترددا بالنسبة لموقفه من الحالة تالسورية، وعلى الصعيد الداخلي فيما يخص تغيرات وتناقضات القوى على الارض. طعمة: قوة أي حكومة من مقدار شعبيتهخا لدى الناس وهذا ناجم عن تقديمها الخدمات الأساسية لهم والهيبة والقوة وهذا ما تسعى إليه الحكومة.

ما موقع حكومتكم على الأرض ومن أين تستمد قوتها؟

قوة أي حكومة تكون من جانبين، مقدار شعبيتها لدى الناس، وهذا ناجم عن تقديمها الخدمات الأساسية لهم، والهيبة والقوة، وهذا ما تسعى إليه الحكومة، فبدون هيبة لن تستطيع الحفاظ على مقرراتها، ولن تستطيع إغاثة أي جهة، لذلك تنشط الحكومة لكسب الهيبة، وهذا سيكون ناتجاً عن تكاتف الجيش الحر من أجل حماية هذه الحكومة، صحيح أنه لم يتم حتى الآن تكاتف هذا الجيش الحر وتشكيل قوة عسكرية تقوم بحماية الحكومة، ولكن أعتقد أن هذا سيتحقق خلال فترة قادمة. أما فيما يتعلق بشعبية الحكومة لدى الناس، فهذا ما نسعى إليه من خلال التواصل وتقديم الخدمات، وأظن أنه بعد الانفراج النسبي في مسألة التمويل، ستستطيع الحكومة في الفترة القصيرة القادمة أن تقدم هذه الخدمات للناس، وبالتالي سيساهم الناس معنا في حماية الحكومة وحماية مقرراتها ومقراتها.

لو تم الحوار بين أمريكا والجبهة الإسلامية، ماذا سيكون موقفكم كمعارضة أولاً، وكحكومة ثانياً؟

كحكومة نحن نؤيد مثل هذا الحوار وندعمه، وندعو الإخوة في الجبهة الإسلامية أن يتحاوروا مع الأمريكان بغض النظر عن موضوع الحوار، لسببين جوهريين، السبب الأول: أن يطّلع الإخوة في الجبهة الإسلامية على ما يجري في هذا العالم، وأن يطلعوا على وجهة نظر المجتمع الدولي وخصوصاً الأمريكان، والسبب الثاني: أننا نزعم بأنه من خلال هذه اللقاءات والحوارات سوف يتكون لدى الأمريكان انطباع أن هذه المجموعات ليست بالضرورة إرهابية، ما نخشاه أن يبدأ تصنيف المزيد من المجموعات في قائمة الإرهاب، وهذا ما لا نريده، لأنه يؤثر على عمل الحكومة وعلى النسيج الاجتماعي للشعب السوري، نريد أن نصل إلى تفاهمات مع جميع الأطراف على الأرض السورية، وخصوصاً الأطراف المحسوبة على المشروع الوطني، من أجل ترسيخ مبادئ المشروع الوطني، وهو الدولة المدنية الديمقراطية التعددية.

كيف تصف علاقة الحكومة بالموارد الوطنية في ظل سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام على آبار للنفط في الشمال؟ وما هي مساعيكم في هذا الخصوص؟

الموارد ملك الشعب، ونحن باعتبارنا حكومة تريد أن تقدم الخدمات للشعب، سنسعى لأن نقدم هذه الخدمات من خلال الحكومة، لكن الحكومة تحتاج إلى قوة حماية تحميها، وتفرض على الواقع شيئاً جديداً، وهذا ما نسعى إليه.

تحت سيطرة من تقع المعابر في المناطق المحررة اليوم؟ أي جزء منها هو الذي تعتبره الحكومة المؤقتة تحت سيطرتها؟ وهل من خطة لعملية جمركية تعود على الحكومة بمردود؟

المعابر في المناطق المحررة تحت سيطرة جهات مختلفة، جزء منها تابع للجبهة الإسلامية والجزء الآخر تابع لزعماء ومشايخ. نحن لا نملك أي سلطة على أي معبر حتى الآن، لكن دخلنا بحوارات ونقاشات مع كل الجهات المسيطرة على المعابر، ونأمل أن يتحقق شيء إيجابي خلال الفترة القادمة.

فيما يتعلق بالخطط، المشكلة ليست في الخطط، لدينا الكثير من الخطط، ذهبنا إلى قطر ومعنا الكثير من المشاريع، كل هذا لا ينفع إن لم تكن هناك قوة عسكرية على الأرض، بمعنى آخر، لو كان هناك قوة عسكرية تحمي الحكومة وتحمي قوافلها الإغاثية لسارت وبدأت بالتوزيع للناس،

سيدة سوريا– أرشيف

من هنا تبدأ الحكومة بكسب الشعبية وتستطيع امتلاك أجهزة طبية يحتاجها الناس اليوم في الداخل ولا نستطيع أن نوصلها إلى المدن، كجهاز الرنين المغناطيسي وجهاز الإيكو أو ما شابه ذلك، فبمجرد أن تعبر الأراضي السورية ستقوم مجموعات بقطع خطوط الإمداد، أمّا كيف ننظر إلى هذا النوع من العمل فهذا عمل قطاع طرق.

هل ترى الحكومة أن العمل الإغاثي كافٍ لإقناع الناس بشرعيتها؟

لا، بالتأكيد لا. نحن نريد أن نقوم بكل الخدمات الواجبة والتي ينبغي علينا القيام بها، وقلنا في رؤيتنا للحكومة أهدافنا الأساسية أربعة: الأول هو الأمن والاستقرار، لأن الناس بأمسّ الحاجة إلى الأمن وهذا ما نسعى إليه، عندما يطمئن الناس ويأمنون فإنهم يستطيعون أن يستمروا بصمودهم في مواجهة النظام. الثاني تحسين معيشة الناس وتحسين ظروفهم والقيام بالخدمات الأساسية لهم، سواء في الصحة أو التعليم أو في المجالس المحلية، من زواج وطلاق ومحاكم فكل هذه القضايا منوطة بالحكومة.

الثالث والذي يخصكم والأخوة من رعيلكم، هو تنشيط منظمات المجتمع المدني السورية التي بدأت مع الثورة، والتي تعمل حالياً على الأرض السورية من أجل مشروع الوطنية، نريد منها أن تشارك الحكومة في تقرير هذا المبدأ، فالمجتمع المدني عليه أن يساهم مساهمة كبيرة في رفعة هذا البلد وتنميته وتحسين قدراته.

الرابع وهو غاية في الأهمية، إرادة الحكومة أن تكون لها أدوار إيجابية في المستقبل، من خلال

تأسيسها لفكرة الديمقراطية في البلد، وإشاعة هذه الروح بين الناس الذين يرون الحل الأمثل بالنسبة لهم في المستقبل، أن يقوم بلدنا على الديمقراطية، استقلال القضاء، الفصل بين السلطات، حرية الرأي والرأي الآخر، حيث يكون لكل صاحب رأي الحق أن يقول رأيه، وأن يدافع عنه، وأن تكون له المؤسسات التي تضمن عرض هذه الآراء على الناس، والناس هم أصحاب القرار.

ماذا تقول بشأن تمويل الحكومة المؤقتة، ومن هي الجهة التي تتبناها، وهل تقلقكم مسألة المال السياسي؟

تمويل الحكومة خارجي في جزء منه وداخلي في جزء آخر، البداية من التمويل الخارجي المتمثلة بالمساعدات من الدول الشقيقة والصديقة، كما تعلمين هناك ثلاث أنواع من المساعدات: الأول مساعدات في الميزانية، ونأمل أن يتحقق ذلك قريباً لكي نستطيع أن نوظف أكبر قدر من الموظفين والإداريين الجيدين الذين سيقومون على تقديم الخدمات لصالح الشعب السوري. الثاني هو: تمويل من الأشقاء، ويتم بدعم مشاريع نقدمها لهم، نرسم الخطة نرسم المشروع وهم يقومون بتمويله. النوع الثالث، تمويل من قبل الأشقاء والأصدقاء من خلال صندوق الائتمان الألماني الإماراتي.

هناك وعود ووعود كبيرة من معظم الدول الشقيقة نحن بانتظار تنفيذها، وأعتقد إن شاء الله وخلال الفترة القادمة، أننا لن ندع مكاناً يمكن من خلاله جلب المنفعة والدعم للشعب السوري، إلا وسنذهب إليه، نحن ذهبنا إلى ثلاث دول حتى الآن (فرنسا- كوريا الجنوبية - وقطر) وسنذهب إلى الإمارات العربية المتحدة والسعودية وليبيا وإقليم كردستان العراق والأردن.

أما عن المال السياسي فنحن في الحكومة لسنا قلقين من هذه النقطة، لأنه لا علاقة لنا بالمال السياسي، المال السياسي هو في التجاذبات التي تحصل، ونحن باعتبارنا نركز بشكل أساسي على الخدمات، فلماذا نسعى نحن إلى المال السياسي؟ ولماذا نسمح بتأثير المال السياسي علينا؟

لو أسفر جنيف عن هيئة حكم انتقالي مشتركة، فهذا يعني انتهاء أجل الحكومة المؤقتة، ما موقفكم حينها، وهل تؤجلون خططكم بانتظار ما سيسفر عنه جنيف٢؟

ثقي تماماً إذا تم التوصل إلى اتفاق يخدم مصلحة الشعب السوري خلال فترة وجيزة، فنحن على أتم الاستعداد لأن نضع أنفسنا تحت سلطة جسم الحكم الانتقالي القادم، نريد أن نخدم الشعب السوري، ولا نريد المكوث على الكراسي لفترة أطول من اللازم.

ألا يضع هذا الجو المشاريع قيد الانتظار؟

لا أبداً، لأننا نعتقد بالإضافة لذلك أن المسألة طويلة الأمد. بالمناسبة أنا اجتمعت خلال الفترة الماضية مع عدد من الجهات الدولية، التي باتت أكثر اقتناعاً بأنه لا بد من وجود جسم تنفيذي يقوم على مصالح الناس وخدماتهم، ولذلك بدأت تنظر إلى الحكومة السورية المؤقتة نظرة أكثر إيجابية من السابق.

ما هي المؤهلات والظروف الموجودة لدى حكومة الدكتور أحمد طعمة، والتي لم تمتلكها حكومة غسان هيتو ما يجعلك تظن أنه سيكون عامل نجاح لكم؟

أعتقد أننا تخلصنا من أكبر المعوقات، وهو التجاذب السياسي، تلاحظين أن الوضع الآن أفضل في موضوع التجاذبات السياسية، وأعتقد أن هناك شعور إضافي لدى الكثير من الإخوة في الائتلاف، أنه لا بد من دعم الحكومة السورية المؤقتة، كي تتمكن من تقديم خدمات حقيقية للناس.

هل تواجه حكومتكم مصاعب في الحيز التنفيذي من عملها؟

نعم، وأشرت أننا كنا نتمنى لو نشأت الحكومة السورية المؤقتة عندما طرحت لأول مرة في مؤتمر مراكش، كانت الأمور أفضل بكثير، ولم تكن الأوضاع في المناطق المحررة على هذا القدر من السوء، وكان يمكن للحكومة السورية المؤقتة أن تبني نفسها لبنة لبنة بشكل أكثر هدوءاً وفعالية، لكن هذا لا يعني ألا نبقى مصممين على استمرار هذا المشروع الطموح، ونحن متفائلون بنجاحه في النهاية، بالرغم من المصاعب.

ما هي الوزارات التي تشعرون بضرورة استحداثها مما هو غير موجود ضمن تشكيلة الحكومة، وهل تنظرون إليها كحكومة تكنوقراط؟

ربما وزارة الخارجية، بدأنا نشعر بأهميتها أكثر فأكثر، لكن لن يطرح هذا في الوقت الحالي، نريد الآن أن نرمم ونعوض الوزراء الثلاثة الذين لم يوفقوا في الامتحان، وزارة الصحة، وزارة التربية والتعليم، ووزارة الداخلية.

كانت الرغبة لدى رئيس الحكومة أن يكون معظم أفراد هذه الحكومة هم من التكنوقراط، لكن لن أنكر وجود معوقات سياسية حول هذا الموضوع، وقد كنا واضحين في التعامل مع الجهات الموجودة في الائتلاف، قدّموا لنا ولو كنتم جهة سياسية، قدموا لنا شخصيات تكنوقراط للدخول في الحكومة.

في الحكومة، هل تنظرون إلى الائتلاف كهيئة تشريعية؟

سأجيب بأن الحكومة خرجت من رحم الائتلاف، و تم التصويت علينا في الائتلاف ونحاسب أمام الائتلاف، وعليه فإن على الحكومة السورية المؤقتة أن تنفذ السياسة العامة للائتلاف.

كما تعلمين الحكومة السورية المؤقتة خرجت بقرار من الائتلاف لكي تقوم بخدماتها تجاه الشعب السوري، ونحن مستمرون بتقديم هذه الخدمات ورعاية مصالح الناس في الداخل والخارج، حتى قيام المؤتمر التأسيسي الأول الذي سوف يكون بعد سقوط النظام، وما سيتمخض عنه اتفاق جنيف٢، قلنا من قبل أنه في حال الوصول إلى اتفاق يضمن مصالح الشعب السوري، فإن الحكومة السورية المؤقتة تضع نفسها تحت تصرف هذا الجسم الجديد...

أثر العنف والحرب على الأطفال

كوثر جودت سعيد

الأطفال عادة هم الفئة الأكثر تأثراً في أوقات الحروب والصدمات، ويختلف عمق تأثرهم تبعاً لبعدهم عنها أو قربهم منها، فكلما كانوا أكثر قرباً من الحدث كان تأثرهم أكبر، بالإضافة إلى عوامل كثيرة أخرى، مثل عمر الطفل، وشخصيته، والتجارب التي مر بها في حياته، كما أن ردة فعل الأطفال تتأثر بردة فعل الأهل (الأم، الأب) تجاه هذه الأحداث، حيث تشكل نموذجاً سواء كان سلبياً أو إيجابياً. ومن الأعراض التي تعكس مدى تأثر الأطفال بهذه الأحداث:

أولاً – ردود الفعل السلوكية وتتمثل في:

١– كثرة الحركة وعدم الاستقرار والعدوانية:

تجاه نفسه (يجرح ويضرب نفسه، يشد شعره)، وتجاه الآخرين (يضرب، يشتم، مشاكل مع أخوته والآخرين)، وتجاه الحيوانات (ضرب، شد، حرق)، وتجاه الممتلكات (تكسير الألعاب، تمزيق الملابس)، والسلوك المنحرف والمؤذي كالسرقة، والكذب، والتدخين، والإدمان، ويكون أكثر اندفاعاً ومجازفة، ولا يفكر في النتائج.

٢– الانسحاب وعدم المشاركة:

حيث يكون منكمشاً على ذاته، سلبياً، ولا يختلط بالآخرين، وتقل حركته، ولا يهتم بنفسه، ولا بمن حوله، اتكالياً، مستسلماً، ساكناً، مطيعاً، ويفقد الاهتمام باللعب.

ثانياً – ردود الفعل الانفعالية:

١– الخوف الزائد وظهور مخاوف جديدة، (خوف من الذهاب للحمام، أو الذهاب للنوم، أو البقاء وحيداً، خوف من الغرباء ومن الظلام، ومن الوحوش والغيلان والحشرات).

٢– زيادة التعلق والالتصاق بالوالدين، وظهور اهتزازات ورعشة في الأطراف وشحوب في الوجه.

٣– نوبات من الغضب والبكاء، إذ يصبح متقلب المزاج، عصبياً وسهل الاستثارة، كثير البكاء، وذاهلاً.

ثالثاً– ردود فعل نفس جسدية:

يصبح الطفل كثير الشكوى، عديم الكلام، يكرر كلاماً معيناً، يعاني الصداع، وآلاماً في البطن، وفقداناً للشهية، وتظهر لديه تشنجات هستيرية، رعشة، ضيق في التنفس، غثيان، حركة في الكتفين أو في العينين، أو هز للرأس.

رابعاً – ظاهرة النكوص والتراجع:

التبول والتبرز اللاإرادي، مص الأصابع وقضم الأظافر، تقليد كلام الأطفال الأصغر منه سناً، وطلب الأشياء التي يطلبونها.

خامساً – أعراض خاصة بالمدرسة:

البكاء في المدرسة، النوم في الفصل، التغيب، الهروب، التأخر، الشرود، تدهور وتدني مستوى التحصيل، صعوبة التركيز والانتباه، مشاكسات، فقد الأصدقاء، العناد، تمزيق الكتب.

كيف نتكلم مع الطفل المصدوم؟

قد تستمر أعراض ما بعد الصدمة لعدة أشهر أو ربما سنوات، بالطبع أفضل طريقة للتعامل مع هذه المشكلة هو منع الصدمات وحماية الأطفال، لكن إذا حدثت الصدمة فإن التدخل هو تدخل مساند من كل من الوالدين والمدرسة وكل مقدمي الرعاية. التركيز يجب أن يكون على إشعار الطفل بالأمان، وأن ما حدث لن يحدث مرة أخرى. أيضاً قد يحتاج الطفل لعلاج نفسي (فردي أو جماعي أو أسري)، تتاح فيه الفرصة للطفل أن يتكلم، ويعبّر عن مشاعره ومخاوفه، إن كان يستطيع أن يفعل ذلك. يمكن مع الأطفال الصغار استخدام اللعب أو الرسم، وقد تستخدم الأدوية أيضاً لتقليل القلق والتوتر، أو الاكتئاب.

ومن أهم التوصيات للتكلم مع الطفل المصدوم:

– عبر عن اهتمامك الصادق بالتواصل مع الأطفال، وذلك عبر

الجلوس مع الطفل بالمستوى نفسه، والإصغاء إليه بانتباه، والمحافظة على التواصل البصري.

– تكلم بصوت هادئ، وتجنب دفع الأطفال إلى الإجابة.

– اطرح كل سؤال على حدة، وإلا ارتبك.

– شجع الأطفال على التكلم من خلال المشاركة المفتوحة، كيف، لماذا، أين، متى...

– يجب أن نخبر الأطفال بأن كل ردود الفعل التي اختبروها بعد الحدث هي طبيعية، وليست ضعف وأن الحديث عن تجاربهم يفيد الجميع.

– يجب أن نختم المحادثة بتقدير شجاعة الأطفال في مشاركتنا انطباعاتهم وأفكارهم، وعلينا تشجيعهم على تقبل مشاعرهم، وأن مخاوفهم طبيعية تنتج عن مثل هذه التجربة، كما علينا أن نتيح الفرص لعقد لقاءات أخرى، لأن هذه المحادثات تريح معظم الأطفال.

متى يجب التحويل إلى خدمات العلاج النفسي؟

– عندما لا تظهر أي علامات لتحسن ردود الفعل.

– عند ازدياد حدة الأعراض.

– عند الانتكاسة، أو ظهور أعراض جديدة عند الأطفال.

قبل تقديم أية خدمة علاجية للأطفال المصدومين، يجب أن يتقن مقدم الخدمة فهم الصدمة، وفهم الطفل المصدوم، وفهم الخدمات المتوفرة، وأساليب العلاج يجب أن يقوم بها اختصاصيون في العلاج النفسي، لمساعدة الطفل في مواجهة واقع ما حدث، وإعادة بناء تصور الذات لديه، ومن أبرز هذه الاساليب العلاجية:

١– التدخل النفسي الفردي.

٢– العلاج الجماعي باللعب.

٣–التدريب الجماعي للتحصين ضد الضغوط.

٤– التدخل عن طريق المدرسة.

٥– المعالجة بالحركة الثنائيّة للعين، وقد حقّقت تلك الطريقة نجاحاً كبيراً على مستوى العالم رغم حداثة عمرها، حيث جُرّبت على نطاق واسع في مناطق الحروب والتعذيب، مثل فلسطين والعراق، وكذلك في مناطق العالم التي نكبت بالزلازل والكوارث الطبيعية.

إن التدخل المناسب واللازم عند حدوث الصدمة عند الأطفال، يساهم بنسبة كبيرة في الحد من ظهور المشكلات النفسية، وهذا بدوره يصبّ في صالح الأفراد والمجتمع على المدى البعيد.

من نص اتفاقية حقوق الطفل

•أولاً: يجب أن يتمتع الطفل بجميع الحقوق المقررة في هذا الإعلان. ولكل طفل بلا استثناء الحق في أن يتمتع بهذه الحقوق دون أي تفريق أو تمييز بسبب اللون أو الجنس أو الدين، أو الأصل القومي أو الاجتماعي، أو الثروة، أو النسب أو أي وضع آخر يكون له أو لأسرته.

•ثانياً: يجب أن يتمتع الطفل بحماية خاصة، وأن تمنح له الفرص والتسهيلات اللازمة لنموه الجسدي والعقلي والخلقي والروحي والاجتماعي نمواً طبيعياً سليماً في جو من الحرية والكرامة.

•ثالثاً: للطفل منذ مولده الحق في أن يكون له اسم وجنسية.

•رابعاً: يجب أن يتمتع الطفل بفوائد الضمان الاجتماعي، وأن يكون مؤهلا للنمو الصحي السليم. وعلى هذه الغاية، يجب أن يحاط هو وأمه بالعناية والحماية الخاصتين اللازمتين قبل الوضع وبعده. وللطفل حق في قدر كاف من الغذاء والمأوى واللهو والخدمات الطبية.

•خامساً: يجب أن يحاط الطفل المعاق جسدياً أو عقلياً أو المقصي اجتماعياً بالمعالجة والتربية والعناية الخاصة التي تقتضيها حالته.

•سادساً: يحتاج الطفل لكي ينعم بشخصية سليمة إلى الحب والتفهم، ولذلك يجب أن تتم نشأته برعاية والديه وفي ظل مسؤوليتهما، في جو يسوده الحنان والأمن المعنوي والمادي، فلا يجوز (إلا في بعض الظروف) فصل الطفل الصغير عن أمه. ويجب على المجتمع والسلطات العامة تقديم عناية خاصة للأطفال المحرومين من الأسرة وأولئك المفتقرين إلى كفاف العيش.

•سابعاً: للطفل حق في تلقي التعليم، الذي يجب أن يكون مجانياً وإلزامياً، في مرحلته الابتدائية على الأقل، وتقع هذه المسؤولية بالدرجة الأولى على أبويه. ويجب أن يكون الطفل، في جميع الظروف، بين أوائل المتمتعين بالحماية والإغاثة.

•ثامناً: يجب أن يتمتع الطفل بالحماية من جميع صور الإهمال والقسوة والاستغلال، ولا يجوز استخدام الطفل قبل بلوغه سن الرشد. ويحظر في جميع الأحوال حمله على العمل أو تركه يعمل في أية مهنة أو صنعة تؤذي صحته أو تعليمه أو تعرقل نموه الجسدي أو العقلي أو الخلقي.

•تاسعاً: يجب أن يحاط الطفل بالحماية من جميع الممارسات التي قد تضر به كالتمييز العنصري أو الديني أو أي شكل آخر من أشكال التمييز، وأن يربى على روح التفهم والتسامح، والصداقة بين الشعوب، والأخوة والسلم العالمي.

الحمل (٢١ آذار – ٢٠ نيسان)

وجود المشتري في السرطان يقدم لك الحظ وفرصة نجاح في العمل، وفي العلاقات العائلية اغتنمي الفرصة لتعيدي الصفاء الذي عكرته بعض الصدامات السابقة مع أسرتك بسبب ضيق الظرف، لكن عليك أن تحذري من بدء علاقة عاطفية جديدة، لأن تراجع المريخ لن يتيح لك نجاحها.

الثور (٢١ نيسان – ٢٠ أيار)

عليك الانتباه في علاقات العمل، وكذلك الصبر والتحمل مع الشريك حبيباً أو زوجاً، لأن زحل في وضع يتيح تفكيك هذه العلاقات وتدميرها، هناك احتمال لنجاح مساعيك في السفر والهجرة أو المنح الدراسية والعلاج في الخارج، وفرصة لتعزيز علاقتك مع الأهل.

الجوزاء (٢١ أيار – ٢١ حزيران)

لديك فرصة كبيرة لكسب المال والنجاح في مشاريع بدأت بها سابقاً كالحصول على قروض أو معونات أو تحصيل ديون، الاحتمالات كبيرة في أن تحصلي على ترتيب قانوني لوضعك ووضع عائلتك بخصوص أوراق ثبوتية. لكن عليك الحذر بالتعامل مع الشريك وزملاء العمل، فانت معرضة لانحسار شعبيتك.

السرطان (٢٢ حزيران – ٢٢ تموز)

لا شك أن هذا العام هو عام مولود السرطان، فالمشتري موجود في برجك، لذا فهو عام الانجازات وتحقيق النجاح ، فرص كبيرة للحصول على المال لكن عليك الانتباه لعلاقتك مع أسرتك، والحذر من أي علاقة عاطفية تبدئينها في الأشهر الثلاثة الأولى. اعترافك بحبك للشريك اثناءها ستكون له عواقب وخيمة.

الأسد (٢٣ تموز – ٢٢ آب)

هذه السنة ستقدم للأسد امتيازات مهمة جداً، يعتبر الأسد ثاني الأبراج حظاً بعد السرطان هذا العام، وخاصةً بعد انتقال كوكب المشتري إلى برج الأسد في منتصف حزيران. لديك فرصة لعقد اتفاقات كبيرة بخصوص العمل. بدايات جيدة في الحب واستقرار عاطفي مع الشريك لكن عليك الحذر في الأمور التي تخص البيع والشراء، وكذلك حوادث السيارات وانتبهي لعلاقتك مع الأخوة والأخوات داخل الأسرة.

العذراء (٢٣ آب – ٢٢ أيلول)

أوضاعك جيدة جداً على مستوى العلاقات الاجتماعية الأصدقاء والصديقات، يمكن أن تصبحي جزءاً من مجموعة أو ناد أو منتدى أو هيئة ما، وفي النصف الثاني من السنة لديك فرص بالحصول على المال، لكن عليكي العمل وليس الاعتماد على الحظ. انتبهي لعلاقتك مع الجيران. النصف الثاني من السنة سيقدم لك نجاحات على المستوى العاطفي.

الميزان (٢٣ أيلول – ٢٢ تشرين أول)

وجود المريخ في الميزان في نصف السنة الأول، يعطيك الكثير من القوة والاندفاع، لكن ذلك يحمل مخاطر الإنفعالات غير المحسوبة أيضاً. تحصدين نجاح على مستوى العمل والمناصب، تحصلين على مال لا تحتفظين به. فرص العاطفة جيدة في الربع الثاني من السنة.

العقرب (٢٣ تشرين أول – ٢١ تشرين ثاني)

زحل كوكب النحس في العقرب. مواليد العقرب هم الأسوأ حظاً بين الأبراج هذا العام، يتعرضون لامتحانات كبرى خاصةً في نصف السنة الأول. الانتباه والحذر في العلاقة مع الآخرين. يمكن أن تكون فرص العقرب جيدة في كل ما يخص الخارج: سفر، هجرة، منح دراسية، كذلك التجارة مع الخارج. الانتباه والتدقيق في الأمور يساعدك في عبور المصاعب. احتمال نجاحات في النصف الثاني من السنة.

القوس (٢٢ تشرين ثاني – ٢٠ كانون أول)

فرص للحصول على المال في النصف الأول من السنة، تعويض أو ورثة. النصف الثاني ينجح فيه السفر البعيد، الهجرة والتجارة الخارجية كالعقرب. ضغوط نفسية تسببها إعاقات زحل واندفاعات المريخ. عليكي التعامل والالتفات إلى الأشخاص الذين تثقين بهم كثيراً. خسارة على مستوى الأصدقاء وتعثر في العاطفة.

الجدي (٢٠ كانون أول – ١٩ كانون ثاني)

فرصك كبيرة فيما يخص الشراكات في النصف الأول من السنة، إن كانت شركة عمل أو شراكة عاطفية وزواج. والحمل أيضاً، وفي النصف الثاني فرصك كبيرة للحصول على مبالغ مالية من تعويض أو قرض أو حصاد نتائج عمل سابق. ارتباك في علاقاتك مع أصدقائك، انتبهي من الاصطدام مع رؤسائك في العمل.

الدلو (٢٠ كانون ثاني – ١٨ شباط)

يقدم النصف الأول من السنة فرصاً جيدة لإيجاد عمل أو لتحسين وضع. أما النصف الثاني فالنجاح حليفك في الشراكات كالعمل والخطبة والزواج. عام جيد للدلو عامةً، لكن النصف الثاني من السنة هو الذي يقدم النتائج المفرحة. عليك الحذر فيما يخص السفر والطرقات السريعة بشكل عام.

الحوت (١٩ شباط – ٢٠ آذار)

نصف السنة الأول يحمل للحوت عقبات ومشاكل فيما يخص السفر والهجرة والدراسة في الخارج وأموال التركات فقط. لكن على باقي الصعد تقدم سنة ٢٠١٤ بكاملها فرص كبيرة على الصعيد المالي الناتج عن العمل وكذلك الصعيد العاطفي، يمكن أن تكون هذه السنة، فرصة إيجاد الشريك أو الحصول على طفل.

الكلمات المتقاطعة

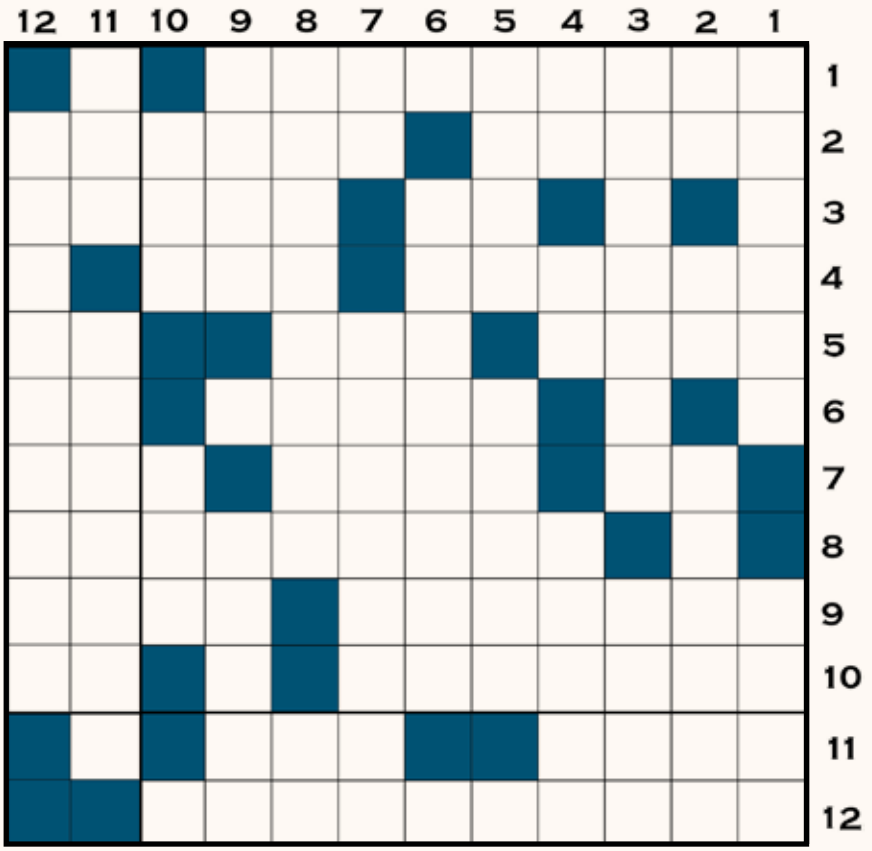

أفقي:

١- ناشطة يمنية حائزة على جائزة نوبل للسلام
٢- أحد أشهر السنة باللاتينية (معكوسة)- بلدة في الغوطة الشرقية (معكوسة)
٣- قادم (معكوسة)- نعتوا
٤- نسبة لدولة عربية- مشى (معكوسة)
٥- مدينة مغربية محتلة- تكلم- متشابهان
٦- مسنان (معكوسة)- أغلق
٧- متشابهان- ميّزا (معكوسة)- ذبح
٨- مفكر سوري معارض
٩- المكاسب بالعامية (معكوسة)- وجهة نظري
١٠- مدينة مصرية تطل على البحر الأبيض المتوسط- إحدى الحواس الخمسة (معكوسة)
١١- أصفّي- مرض (معكوسة)
١٢- ناشطة حقوقية حاصلة على جائزة حقوق الإنسان.

عامودي:

١-مدينة سورية تابعة لمحافظة حمص- حيوان بحري
٢-نعم بلغة أجنبية- من الحبوب (معكوسة)-ملكة سورية (معكوسة)
٣- دولة أوروبية- أطالع (معكوسة)
٤- عقل- ضمير منفصل (معكوسة)- مدينة على البحر الأبيض المتوسط
٥- راسل- جمع أعمى (معكوسة)
٦- مدينة في الشمال السوري
٧- اسم موصول- السلطات
٨- تمثال لكائن أسطوري اشتهر بأسئلته الثلاث- حرف عطف
٩- اسم علم مذكر- من الثديات العاشبة
١٠- ركل- اسم استفهام (معكوسة)
١١- مدّ(معكوسة) - رئيس فرع المخابرات الجوية في سورية متهم بجرائم حرب (معكوسة)
١٢- صحفي وحقوقي سوري حائز على جائزة (برونو كرايسكي) للمدافعين عن حقوق الإنسان.

سودوكـــــو

سودوكو: هي لعبة منطقية مبنية على وضع الأرقام في المكان المناسب. الهدف هو ملء ال ٩*٩ مربعات بأرقام بحيث أن كل عمود وصف ومربع من المربعات التسعة (والتي تدعى مناطق) تحتوي على الأرقام من واحد إلى التسعة دون تكرار.

	8		6	4		7	3	
7	3		1					6
	5			7	2			8
	1							
8	6	3	7		9	2	4	5
							7	
2			9	5			6	
6					1		2	4
	9	8		2	6		1	

كلمة السـر

كلمة السر من عشرة أحرف رئيس سابق للمجلس الوطني السوري

خارج الطقس
أو داخل الغابة الواسعة
وطني
هل تحس العصافير أني
لها
وطن أو سفر
إنني أنتظر
في خريف الغصون القصير
أو ربيع الجذور الطويل
زمني

هل تحس الغزالة أني
لها
جسد أو ثمر
إنني أنتظر
في المساء الذي يتنزه بين العيون
أزرقا أخضرا أو ذهب
بدني
هل يحس المحبون أني
لهم
شرفة أو قمر

ا	ا	س	ح	ي	ر	ظ	ت	ن	ا	ي	ن	ن	ا	ب
ل	و	ء	ا	س	م	ل	ا	ا	ق	ر	ز	ا	ا	ا
و	ن	ط	و	ي	ن	د	ب	ا	ر	ض	خ	ا	ل	ل
ا	ي	ن	م	ز	ن	و	ب	ح	م	ل	ا	ر	ق	ع
س	ي	ف	ه	و	ا	ة	ل	ا	ز	غ	ل	ا	ص	ص
ع	ا	ا	ل	ه	س	ق	ط	ل	ا	ب	ه	ذ	ي	ا
ة	ل	ع	ي	ب	ر	ن	ن	و	ي	ع	ل	ا	ر	ف
ل	غ	ا	ه	ل	س	ح	ث	غ	ي	ن	ا	و	ا	ي
ل	ص	س	ح	ث	ل	خ	ا	د	ي	م	ه	ل	ا	ر
ه	و	ر	و	ذ	ج	ل	ا	ا	ة	ف	ر	ش	و	ا
ا	ن	ر	م	ث	و	ل	ه	ل	ق	ف	ي	ر	خ	ل
ر	ظ	ث	ن	ا	و	ا	و	ط	م	ا	ر	ف	س	غ
ي	ن	ا	ي	ذ	ل	ا	ط	و	ر	و	د	س	ج	ا
ي	ف	ل	ه	ن	ي	ب	ن	ي	ه	ز	ن	ت	ي	ب
ج	ر	ا	خ	ي	ن	ا	ي	ل	ن	ي	ن	ا	ا	ة

استخدمها النظام ضمن حربه الدموية على الشعب السوري

الدراما السورية تبحث عن هوية جديدة

رعد شاهين

• النُخب الاقتصادية تخلت عن الفنان السوري، والمنافي حرمت الثورة أجمل الأسلحة

• النظام أدرك أهمية الدراما، والمعارضة استسهلت التعاطي مع الفن والإعلام

رغم كل أجواء القمع والاستبداد التي عاش فيها صُنّاع الدراما السورية على مدار نصف قرن من الزمن، إلا أنهم –وبجهود استثنائية– استطاعوا أن يُقدموا الهوية الفنية السورية على الساحة العربية ويدخلوا في منافسات كبيرة خرجوا منها في السنوات العشرين الماضية بمكانة مميزة ضمن الدراما العربية. ولعله لا بد من الإشارة إلى أن الدراما السورية دخلت ميدان الإنتاج الفعلي على يد القطاع الخاص والتجارب الفردية لعدد من الكُتّاب والفنانين، ولكن النظام استطاع بدوره الاستفادة من هذا الإنتاج الوطني حتى أقصاه، وراح يدعم هذه الجهة الإنتاجية أو تلك وإن كان قد أنهى جهات إنتاجية أُخرى لا تصب في النهاية في مصلحته المباشرة..

ويبدو أن النظام كان يخشى كثيراً الإنتاج الفني السوري، كيف لا والكاتب والفنان السوري قدم في ستينيات القرن الماضي تجارب مسرحية وكتابية تُعتبر الأكثر أهمية في تاريخ المسرح العربي الحديث، وكان للمسرح (رغم نُخبوية معظم التجارب) دور كبير في صنع الثقافة الوطنية المدنية، لذلك مع انقلابات البعث المُتكررة، ومن ثم وصول حافظ الأسد إلى السلطة، قرر أن يُدّجن الفن والأدب السوريَّين، وإن لم يستطع فسلاح المنع والقمع حاضر على الدوام.. وهنا لابد من التوقف عند أمرين في غاية الأهمية:

الأول: هو قيام النظام بإصدار مراسيم وقوانين تمنع إنتاج الدراما في القطاع الخاص، وتحصر إنتاجه بالقطاع العام المُتمثل بالهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون، وعندما بدأت سوق الاستهلاك العربي بالانفتاح أمام الدراما السورية، قام عدد من المُنتجين بالسفر خارج البلاد، لإنتاج أعمال بسيطة في اليونان والإمارات العربية المتحدة وقطر والبحرين، مما سيُمهد الطريق لاحقاً إلى الطلب المُتزايد على الدراما السورية، التي امتلكت خصوصية نابعة من خصوصية المجتمع السوري جغرافياً وديمغرافياً، ليدخل النظام أو بعض رموزه لاحقاً على خط هذا الإنتاج بهدف ربحي، إضافة إلى الهدف الرقابي المُباشر، الذي يقوم على تأسيس البنية الدرامية أساساً وفق ما تقتضيه مصلحة النظام.

الثاني: هو قيام النظام بإصدار مرسوم حصر استيراد الأفلام غير السورية بجهة حكومية واحدة هي المؤسسة العامة للسينما، الأمر الذي قضى بشكل شبه نهائي على طقس الحضور السينمائي. وفي الوقت الذي كانت سوريا تتباهى فيه بعدد كبير من دور السينما في دمشق وحلب وحمص وحماه واللاذقية

والقامشلي وغيرها، تقلصت دور السينما إلى عدد أصابع اليدين، مع تحول الكثير من دور السينما القديمة إلى أوكار، تفوح منها رائحة الفساد الاجتماعي واستغلال الأطفال، وغير ذلك من المواضيع التي كانت تحت عين الرقيب الأمني دون أن يُحرك ساكناً.

النظام ولعبة الاستقطاب والعقاب

أما كيف استغل النظام الإنتاج الفني في سوريا، فكما أشرنا عمل على خطين متوازيين، الأول هو استقطاب الكُتّاب والفنانين، أو قمعهم كما حصل مع تجربة مسرح الشوك (دريد لحام، سليم صبري، عمر حجو)، حيث كان دريد لحام جاهزاً ليقدم ولاءاته الفاقعة لحافظ الأسد منذ نجاح انقلاب هذا الأخير، لتتحول فرقة مسرح الشوك إلى فرقة تشرين، تيمناً بنجاح الانقلاب البعثي الجديد، إلى جانب سلاح المنع والتعديل، مع الأخذ بعين الاعتبار أن النظام كان حريصاً على مُعاقبة الفنانين بصمت، دون أن يمنعه ذلك من اعتقال عدد كبير من الفنانين والكُتّاب لسنوات طويلة، عندما اقتربوا من عالم السياسة.

الدراما لترويج ديمقراطية نظام الممانعة

وقبيل أن يُسلّم الأب المزرعة السورية إلى الابن، جاءت الإشارات للعمل على تبييض صفحة النظام، والسماح بمرور إشارات يلتقطها الجمهور السوري بعناية، كترويج لانفتاح سياسي معقول يُرافقه انفتاح اقتصادي، مع التأكيد أن تبقى هذه الإشارات تحت الخطوط الحمراء، والتي تعني عدم الاقتراب من بنية النظام وتركيبته الأمنية أو الطائفية. ومن هنا أيضاً قفز بعض

أبناء أركان النظام إلى موكب الإنتاج الفني، ولعل البداية كانت على يد باسم خدام (ابن نائب الرئيس السوري وقتها)، حين أسس شركة الشام الدولية، ليلحق بنفس الركب بعد سنوات مفلح (ابن رئيس الوزراء وقتها)، والذي سرعان ما سيختفي من الساحة بعد إعدام أبيه محمود الزعبي، ضمن المسرحية الهزلية المعروفة وقتئذ. ورغم أن كثيرين من أبناء أركان النظام سعوا إلى هذا الميدان بغية تبيض اموالهم أولاً، وتلميع أسمائهم تحت عنوان المشاركة في صنع الهوية الحضارية السورية، إلا أن الشخصية الأبرز التي دخلت هذا الميدان، وبقيت في الخلفية تُحرك وتُرشد هو ماهر الأسد شقيق الرئيس (وقتها ولا يزال)، عبر شريكه محمد حمشو صاحب التاريخ المعروف بقضايا الفساد، والذي انتقل من شراكة أولاد عبد الحليم خدام إلى شراكة ماهر الأسد، وذلك عبر شركة إنتاج حملت اسم سورية الدولية، والتي قدمت معظم كتّاب وفناني الدراما السورية في أعمال سُجلّت على أنها جريئة للغاية، سيما مع بروز الانتقاد اللاذع لرجل الأمن، وترافق ذلك مع ظهور إعلامي مُتكرر لبشار الأسد مع الفنانين.

وقد حقق النظام الكثير من وراء ذلك، فهو أولاً صدّر ما كان يُسميه الديمقراطية التي ينعم بها الشعب السوري من خلال دراما سورية جريئة، تناولت الرقيب الأمني والاجتماعي بقوة، وأيضاً روّجت لرئيس شاب يُريد أن ينتقل ببلاده إلى مصاف الدول الراقية.. ولأن النظام ورموزه يعتبرون أنهم هم (وهم فقط) صانعوا الدراما وصانعوا نجومية فنانيها، فقد استخدموا الفنان السوري في بداية الثورة بشراهة كبيرة، تماماً كما استخدموا الشبيّحة الذين كانوا يُصنعون لمثل هذا اليوم، ومن هنا أيضاً جاء غضب الرموز الأمنية في النظام على الفنانين، الذي تطاولوا وتجاوزوا الحدود المرسومة ووقفوا مع شعبهم، فقرر النظام بلحظة إنهاء تاريخ هؤلاء، وسلّط عليهم الشبيّحة (كما حصل مع سلوم حداد في مقهى الروضة، حين تهجّم عليه الشبيّحة وأنقذه الشبيّح المذيع جعفر الأحمد، إثر تدخل أخيه المخرج أحمد إبراهيم الأحمد، وكما حصل للفنانين الذين وقعوا على ما بات يُعرف ببيان الحليب، إذ وصل بهم الأمر إلى حد التهديد بقتل أولادهم، وأجبروهم على الظهور في لقاءات تلفزيونية مقززة، إلى أن غادر بعضهم البلد بشكل نهائي، وكما حصل مع الفنانين خالد تاجا ومي سكاف وفارس الحلو ومحمد آل رشي ومحمد أوسو، والكاتب عدنان الزراعي وزكي كورديلو وابنه مهيار، وليلى عوض والكاتب فؤاد حميرة وآخرين).

وصل بهم الأمر إلى حد التهديد بقتل أولادهم، وأجبروهم على الظهور في لقاءات تلفزيونية مقززة، إلى أن غادر بعضهم البلد بشكل نهائي.

في مقابل ذلك ساند النظام وبقوة كل من تنكّر لشعبه، وأسهب في العطايا، وشجّع شركات الإنتاج على المضي قُدماً في إنتاج الدراما السورية، وفتح الدعم المادي الواسع لمؤسسة الإنتاج الدرامي الحكومية، التي أنتجت أول ما أنتجت (بعد بداية الثورة) مسلسل فوق السقف، وفق النظرية التي طالما سار النظام عليها، وهي نظرية تصدير الديمقراطية التي يتغنى بها النظام. ورغم مرور نحو ثلاث سنوات، مازالت هذه المؤسسة تُنتج الأعمال الدرامية، لأن استمرار هذه الأعمال يحمل رسالة النظام بشكل مباشر وغير مباشر، وهي رسالة مؤثرة أكثر بكثير من كل الخُطب والمؤتمرات (استمرار انتاج الدراما يعني أن سوريا بخير كما يُردد إعلام النظام، وأن كل ما تتناقله القنوات هو مبالغات، وأن الشعب السوري كان يعيش في بحبوحة اقتصادية وسياسية، وأن الوقوف في وجه النظام هو خيانة وأن وأن وأن...). وقد حمّل النظام كل خطابه الإعلامي لهذا الإنتاج الدرامي، في الوقت الذي لم يُوفر جهداً في شراء المؤسسات الإعلامية خارج حدود البلاد، ليُروّج لنظرية المؤامرة، والتي سبقتها بسنوات طويلة نظرية (نحن أو الفوضى)، وضمّن النظام المشروع الفني داخل سوريا كلتا الرسالتين، في تزامن لا يُنكر أحد أنه حقق عبره الكثير من أهدافه.

أعمدة الدراما السورية في المنافي

في هذا الوقت، ومع فرار أهم أعمدة الدراما السورية إلى خارج الحدود، لم نشهد ولا حتى عملاً درامياً واحداً يرتقي بالخطاب الإعلامي من مستوى الحياتي واليومي إلى مستوى التأثير، وإلى مستوى المساهمة في تدعيم الرأي العام العربي أولاً، والعالمي ثانياً الواقف إلى جانب الثورة السورية، ناهيك عن حاجة الثورة إلى خطاب متوازن وعملي للداخل السوري، فرواية النظام تُفكك البُنية الاجتماعية السورية، وتُحرضها على المزيد من الدم والتدمير واللامبالاة، والمناجاة بحمد ولي النعم، لتضع البلاد في كارثة طويلة الأمد، دون أن يكون مقابل كل هذه الحرب الإعلامية الكبيرة والمؤثرة التي يخوضها النظام ضد الشعب السوري أي سلاح مُضاد.. فلا دراما ولا سينما، ولا مسرح ولا إعلام حقيقي ولا هم يحزنون..

المعارضة السورية تتخلى عن أهم أسلحتها

لم تلتفت النُخب السياسية السورية في الخارج إلى أهمية الخطاب الإعلامي المُتكامل والمؤثر (فن وأدب وإعلام)، واكتفت هذه النُخب بمحاولة نقل ما يُمكن نقله من صورة الواقع السوري، إلى جانب الكم الكبير من الدموع والتشكي، التي ملئت شاشات العالم، وكأن ذلك كافٍ لإيصال الصورة الحقيقية للحدث

السوري!

والذي حصل نتيجة هذا الغياب غير المفهوم للفن السوري الحقيقي، هو انقسام في الرأي العام بين مؤيد لبقاء النظام، لأنه بكل الأحوال أفضل من الفوضى أو التعاطي مع القضية السورية كواحدة من كوارث الطبيعة (كالزلازل والبراكين والأعاصير)، وبالتالي محاولة التبرع بجزء يسير من المال ضمن حملات الإغاثة، التي تُطلق بين الحين والآخر لإراحة الضمير، ثم الاستمتاع بالدراما التي يُقدمها النظام، سواء عبر ممثلين ومخرجين وكتّاب، أو بصيغة الخبر الدموي الذي أصبح مع مرور الوقت خبراً عادياً، لا يستحق الوقوف عنده طويلاً، وكأن ما يحدث إنما يحدث في كوكب آخر ومع كائنات غريبة، نستنكر وحشيتها ونستكمل حياتنا...

ربما راهنت النُخب الثقافية والفنية على سرعة سقوط النظام، ووفرت جهدها لما بعد سقوطه، وإن كان قد بدا سريعاً أن النظام قرر إدخال البلاد في كارثة طويلة الأمد، لم تجد هذه النُخب ما تقوم به، سوى تقديم الكثير من المشاعر المُنسكبة بغزارة على صفحات التواصل الاجتماعي، وبات العمل الاقتصادي والسياسي كله مُنْصَب على تدارك فعل النظام القوي الوحشي وغير الإنساني، بحيث يرى البعض اليوم أن الفن والدراما نوع من الترف الذي لا يملكه السوريون.. أي إن النظام حول الثورة من فعل قام هو بردّ فعل عليها، إلى رد فعل لأفعال مستمرة من قبله، والمعادلة المنطقية تقول: إن صاحب الفعل يتقدم، وهو من يُحدد مسارات معاركه حتى وإن خسرها.

الفن لم يكن يوماً مجرد ترف

وحقيقة الأمر أن الدراما ليست ترفاً، فالدراما هي واحدة من الأسلحة الهامة جداً، والتي استخدمها النظام إلى جانب القوة الوحشية والإعلام اللاأخلاقي، وهو سلاح أثبت فعاليته خلال عمر الثورة، ولعلنا نُذكّر هنا بما كان

يفعله هتلر، الذي وضع ميزانيات ضخمة وكرّس الكثير من وقته للدعاية (السينما بشكل خاص)، لتكون سلاحاً فعالاً في معاركه،

القوى التي تمضي قُدماً في الحروب والقتل، دون أن تكون صاحبة حق، بحاجة ماسة إلى شرعنة وجودها وأهدافها، وأفضل وسيلة حتى اليوم في تاريخ البشرية هي الفن والإعلام.

الأمر نفسه فعلته إسرائيل منذ نشأتها وحتى اليوم.. والقوى التي تمضي قُدماً في الحروب والقتل، دون أن تكون صاحبة حق، بحاجة ماسة إلى شرعنة وجودها وأهدافها، وأفضل وسيلة حتى اليوم في تاريخ البشرية هي الفن والإعلام.. وهذا بالضبط ماتخلت عنه الثورة السورية لأسباب كثيرة مررنا على بعضها، رغم أن الفنان السوري في المهجر الإجباري يُعاني الأمرين لتأمين لقمة الخبز، وفي الوقت نفسه يُقدم إضاءات صغيرة هنا وهناك علّه يُساهم مفرداً في إشعال شمعة ليس إلا..!!!

إمكانيات حقيقية لإنتاج دراما سورية الهوى والهوية

المثلث الأساسي لأي إنتاج فني يبدأ بالمُنتج صاحب رأس المال، فالكاتب والمخرج، ومن ثم الممثلين وباقي عناصر العملية الفنية، وعدد كبير جداً من هؤلاء موجودون خارج الحدود السورية، باستثناء المُنتجين او أصحاب رؤوس الأموال، وهنا يأتي دور رجال الأعمال السوريين الذين يملكون المال و-كما يُعلنون- الرغبة في خدمة الثورة السورية لتأسيس شركات إنتاج في دول الجوار السوري، (مع التأكيد على أن القوانين في تلك الدول تسمح بذلك، وبشكل أكيد في الأردن وتركيا وكوردستان العراق)، وهذه الدول فيها من البيئة مايُمكن أن يتم فيه إنجاز أعمال درامية هامة، لخدمة الهوية السورية الحقيقية، ناهيك أصلاً عن أن الجهات السياسية تمتلك الإمكانية المادية والقانونية، لتُقدم مشاريع فنية يُمكن لها أن تُساهم بقوة في رد الحرب الوحشية على جوهر وهوية الشعب السوري.

ولعلنا لا نعوّل كثيراً على التكتلات السياسية المعارضة في الخارج، فهي لم تنجح في إدارة ملف الإعلام، والذي يُشكل حاجة ماسة لعملها اليومي، ناهيك عن قدرتها أو حتى فهمها للدور العميق للفن في معارك مصيرية كمعركة الشعب السوري !!!

خلي السلاح صاحي

قد يكون كل ماسبق بمثابة دعوة جدّية لإقامة مؤسسات إنتاج درامية، تواجه الإنتاج الإعلامي الفني الذي يُقدمه النظام بكثير من التزييف، وأحياناً الوقاحة التي توجع الإنسان السوري أكثر من أي شيء آخر، فلا شيء مؤلم أكثر من أن يكون الإنسان صاحب حق، ومظلوماً ويدفع دماً، ثم يبدو أمام العالم إرهابياً أو مأجوراً، أو انه باع شرفه لهذا أو ذاك.. أليس هذا مايقوم به إعلام النظام ودراماه..؟

فلماذا نتخلى عن سلاح هام وخطير، ونترك الساحة للنظام يصول ويجول ويُقدم رواياته المُقززة، بحيث نجح في كثير من الأحيان في جذب شرائح مختلفة من الجمهور العربي إلى رؤيته..؟ ولا يكفي هنا أن نستهجن ونستنكر ونشتم بعض الفنانين العرب، ممن عُرفوا بمواقفهم (التقدمية) وانحازوا إلى جانب النظام، أو أن جمهوراً عريضاً بات يقول اليوم للسوري في المهجر: (شو كان بدكون بهالثورة والله كنتو عايشين!!)..

وخلاصة القول من كل ذلك إننا اليوم بتنا بحاجة أكثر من أي وقت آخر إلى سلاح الفن، ليكون في مواجهة الآلة التدميرية للفن والإعلام السلطوي، وباتت الدعوة مشروعة تماماً لنقول بصوت عالٍ: خلي السلاح (سلاح الفن) صاحي.

من مواطنة سورية إلى «أخت» في «دولة العراق والشام»

يوسف شيخو

بعد نحو ثلاث سنوات من المشاركة الفعالة على الأرض، لا سيما في الحراك المدني، يبدو جلياً، أن دور المرأة السورية تراجع باستمرار، لينحصر تأثيرها في نشاطات محدودة ميدانياً. الكثيرات من السوريات اتجهن إلى تكثيف أنشطتهن على مواقع التواصل الاجتماعي، مثل «فيسبوك» والمدونات الإلكترونية، كمنابر بعيدة عن الواقع الأمني، غير المستقر، والذي قد يتهدد سلامتهن، خاصة في مناطق سيطرة قوات النظام (إن لم يكن مواليات) أو «ولايات» الجماعات الجهادية، التابعة لتنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام».

ورغم زعم البعض أن وضع المرأة الاجتماعي متقدم، نسبياً، على وضعها القانوني في سوريا، يبدو أن الحال تغيّر اليوم، واختلف وضعها باختلاف المكان، الذي تتغير قوانينه وفقاً للتحولات العسكرية التي تشهدها البلاد من وقت لآخر. فهي غالباً ماتقع فريسة مثل هذه التقلبات العسكرية التي تعيشها مناطق التوتر، وتواجه كوابيس الحواجز ونقاط التفتيش العسكرية، ناهيك عن التغيرات الجذرية التي فُرضت عليها مؤخراً، لتتحول من مواطنة سورية إلى «أخت» في المناطق التي تسيطر عليها كتائب تنظيم «الدولة» الجهادي.

في الخامس من شباط الجاري، أقدمت طالبة جامعية على الانتحار في منطقة السلحبية الغربية بريف الرقة. سبب انتحار فاطمة العبد الله العبو، البالغة اثنين وعشرين عاماً، يعود لمحاولة والدها إجبارها على الزواج بمقاتل تونسي الجنسية، ينتمي لتنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام». وتفيد معلومات واردة من المنطقة، بأن والد الضحية وعمها ينتميان لتنظيم «الدولة»، وهو ما زاد من حماسهما لمصاهرة «المهاجر التونسي»، الذي لم يحظَ بعروسه، التي أنهت حياتها بعد تناول كمية كبيرة من الأدوية.

حادثة فاطمة ليست الوحيدة في المحافظة شبه الخاضعة لسيطرة تنظيم «الدولة». ويقول ناشطون محليون إن فتاة أخرى تزوجت بأحد قياديي التنظيم في الرقة أخيراً، لتسعف لاحقاً، إلى مستشفى محلي، بعد تعرضها لاعتداءات من قبل الزوج. الحالة تتكرر، وفتيات المحافظة يستقبلن عروض زواج «إجبارية» من قبل «مهاجرين» في صفوف التنظيم الجهادي. ويشير مصدر محلي، رفض الكشف عن هويته، لأسباب أمنية، إلى أن قادة التنظيم يحاولون التسلل أكثر إلى المجتمع الرقاوي، ومن ضمن الأساليب المتبعة، مصاهرة العائلات والأسر المرتبطة بالتنظيم.

ويوضح المصدر أن عدداً ليس بقليل من عناصر التنظيم تزوجوا بفتيات من ريف الرقة وحلب وإدلب، رغم رفضهن «الارتباط بأشخاص غرباء». كما يقول الأهالي إن زوجات بعض «المقاتلين المهاجرين» من السوريات، ما زلن في عصمتهم، فيما طلق آخرون بعد فترات قصيرة، ليتزوجوا بأخريات.

هذا الواقع بدأ يثير جدلاً في الشارع السوري، والرقاوي بشكل خاص، كما بات وضع المرأة السورية اليوم، حديث منظمات إنسانية وحقوقية، شرعت في التركيز على تردّي حال المرأة. وتفيد منظمة «هيومن رايتس ووتش»، في تقرير نشرته مؤخراً، إلى أن «القواعد المتشددة» التي تفرضها جماعات في شمال وشمال شرق سوريا «تخرق حقوق الإنسان الخاصة بالسيدات والفتيات، وتحد من قدرتهن على الاضطلاع بأنشطتهن الحياتية اليومية التي لا غنى عنها».

ومعروف عن محافظة الرقة، شبه الخاضعة لسيطرة تنظيم «الدولة» أنها منطقة محافظة، ولكنها ليست متدينة إلى درجة تتحملَ فيه عبء التحول إلى أكبر مدينة في العالم، يسيطر عليها تنظيم يقول بتبعيته لتنظيم «القاعدة». وتنقل «هيومن رايتس» عن نازحات ولاجئات سوريات تأكيدهنّ أن التنظيم، و«جبهة النصرة» سابقاً، فرضا «تفسيراتهما للشريعة، حيث طالبا السيدات والفتيات بارتداء الحجاب والعباءة، وحتى النقاب، مع التهديد بمعاقبة من لا تلتزم».

وفي بعض المناطق تفرض هذه الجماعات «إجراءات تمييزية تحظر على النساء والفتيات، لا سيما من لا يلتزمن بقواعد اللباس، التنقل بحرّية في الأماكن العامة، والعمل، والذهاب إلى المدارس». ومنذ سيطرته على الرقة في تشرين

الأول ٢٠١٣، وإعلانها «ولاية إسلامية»، خلق تنظيم «الدولة الإسلامية» نمط حياة غريب عن سكان المدينة، كما فرض شروطاً و«حدوداً» صارمة، منها فرض ارتداء النقاب.

وسبق أن وضع التنظيم لوحات إعلانية كبيرة في مدينة الرقة، لشرح مواصفات الحجاب الشرعي، وأنه يجب ألا يكون شفافاً، وأن يغطي كافة أجزاء الجسم حتى الوجه واليدين، وألا يشبه لباس الرجال وألا يكون مميزاً. وأصبح «قانون النقاب» وسيلة لبعض الفصائل، المعادية لتنظيم «الدولة» في الرقة، لاستهداف حواجز التنظيم، حيث ارتدى مهاجمو الحواجز النقاب واستطاعوا خلال أيام تنفيذ اغتيالات ممنهجة، استهدفت عناصر بارزة في التنظيم.

هذا الأمر دفع التنظيم إلى تشكيل كتيبتي نساء، لتفتيش المارّة، والكشف عن هوية رجال يلجأون إلى التنكر بأزياء نسائية لتجنّب الاعتقال، وأُطلق على الكتيبتين اسما «الخنساء» و«أم الريان»، ونصبتا حواجز لتفتيش المارة من النساء، وسيّرتا دوريات في الشوارع. وسبق أن ألقت دورية نسائية القبض على فتيات سافرات، ونفّذت فيهن حكم الجلد في ساحة الشماس بالمدينة. واللافت، كما تفيد مصادر من الرقة، أن عناصر كتيبة «الخنساء» غير سوريات، غالبيتهن مهاجرات شيشانيات، والبقية تونسيات ويمنيات.

عن الجسد في ثقافة الاحتجاج العربية

صوت المستور، صوت المتعري..

علي سفر

ثقافة الاحتجاج، مفهوم، أضافته إلى تفكير الشعوب العربية، ثورات الربيع العربي، ورغم أنه كان حاضراً في الأدبيات السياسية للقوى التي كانت تعارض الأنظمة السابقة، إلا أن تجلياته الواقعية بقيت شبه غائبة تبعاً للعنف الشديد الذي كانت تقابل به أدوات الاحتجاج، ولاسيما منها التظاهرات، غير أن ارتباط بداية الحراك الثوري العربي بممارسة اداة احتجاج مستجدة هي حرق البوعزيزي نفسه، قد فتح المجال لحضور أدوات أخرى من مفردات الاحتجاج.

وهكذا لم يعد فعل التظاهر هو الفعل الوحيد المتاح في البلدان التي أنجزت تغيير الأنظمة التي هدفت لتغييرها، وقد بدا لافتاً وبشكلٍ كبير أن يكون حضور المرأة في سياق الاحتجاجات، أداةً من أدوات الهجوم المضاد الذي أبدته القوى التي تعارض التغيير، إذ تحولت المرأة إلى هدف يتوجه إليه البلطجية والشبيحة في مصر وسوريا، في حوادث لن يستطيع المتابعون أن ينسوها، فالفتيات الثائرات اللواتي نزلن إلى ميدان التحرير كنا عرضةً لهجوم من قطعان البلطجية الذين كانوا يتحرشون بهن، في زمن مبارك، وكذلك من رجال الأمن الذي وصل بهم الأمر إلى سحل فتاة قادها حظها العائر لأن تقع بين أيديهم، ما أدى إلى كشف جسدها أمام عدسات الكاميرات، في زمن المجلس العسكري، حادثة فتاة الاتحادية (نسبة إلى المكان الذي وقعت فيه الحادثة) أثارت الكثير من اللغط في مصر بين التيارات السياسية، فقد تحولت الفتاة بجسدها المعرى على يد قوات الأمن إلى موضوع للنقاش، بدلاً من أن يكون فعل التعسف واستخدام القوة المفرطة ضد المحتجين عموماً و النساء منهن خصوصاً هو الموضوع..!

وفي سوريا، كانت حادثة اعتقال الناشطة مروى الغميان أمام كاميرا أحد المحتجين الذي قام بنشر الفيديو، فعل سابق على تاريخ حادثة فتاة الاتحادية، فقد كان اقتراب رجل الأمن من جسد الناشطة، وامساكه بها، هو مؤشر إلى اتباع الأجهزة الأمنية في كلا البلدين سياسة واحدة، تجعل من جسد المرأة أداةً لممارسة العنف ضد المحتجين الثائرين.

وبالتأكيد فإن ما تكشف عنه التقارير الحقوقية عما يحدث في مراكز الاعتقال في مصر والفروع الأمنية في سوريا، يجعل الأنظار تتوجه عن التفاصيل السابقة، نحو اعتبارها مجرد حوادث بسيطة أمام العسف الذي يتم عبره التعاطي مع المرأة. وبالتقابل مع قيام الاجهزة المصرية بالكشف على المعتقلات للتأكد من كونهن عذراوات، ذهبت الأجهزة السورية نحو ممارسات غاية في امتهان الجسد الإنساني، حيث لا تفريق بين جسد المرأة و جسد الرجل، فالاغتصاب بات مفردة رائجة ضمن المدونة السورية التي توثق أفعال النظام..

وإذا كانت هذه الأفعال تتم في الستر، أي وراء الجدران السميكة للمقر الأمني، فإن الاعتداء على جسد المرأة في العلن، بات يحمل قيمة مضافة على الفعل ذاته على جسد الرجل، ففي حالة الرجل يكون الأمر هو اعتداء عنيف، بينما يكون في حالة المرأة أكثر من مجرد كونه عنف، إذ يشكل خرقاً للعرف المجتمعي، الذي

يمنع مقاربة جسد المرأة من منطلقات متعددة يشكل الدين واجهتها الأساسية.

ردة فعل المرأة على هذا الانتهاك، هي ملمح أساسي في الأشكال التي فرضتها ثقافة الاحتجاج، ففي مصر كرست الحركات النسائية مبدأ الاحتجاج السلمي، على ما يمارس ضدهن، وهكذا جاءت تظاهرات الاحتجاج النسائية التي أعقبت حادثة فتاة الاتحادية، وكذلك ظهرت في سوريا تجارب المظاهرات النسائية التي قامت السوريات فيها بوضع الحجاب على وجوههن خشية معرفتهن من قبل الأجهزة الأمنية مما يجعلهن هدفاً للاعتقال والدخول في دوامة الانتهاكات.

وفي جهة أخرى، من جهات أدوات الاحتجاج، برزت ظاهرة التعري من قبل بعض الناشطات العربيات، لتتماهى مع ظاهرة عالمية تقودها حركة النساء المتعريات «Femen»، التي أسستها الأوكرانية إينا شافيتشينو، والتي بدأت بتظاهراتها عام ٢٠١٠.

بالتقابل مع قيام الاجهزة المصرية بالكشف على المعتقلات للتأكد من كونهن عذراوات، ذهبت الأجهزة السورية نحو ممارسات غاية في امتهان الجسد الإنساني، حيث لا تفريق بين جسد المرأة و جسد الرجل، فالاغتصاب بات مفردة رائجة ضمن المدونة السورية التي توثق أفعال النظام

وهكذا برزت علياء المهدي، بوصفها أول عربية تقوم بالتعري كفعل مكرس للاحتجاج السياسي، فقد عرضت صورها عارية على شبكة الأنترنيت، مفجرة موجة احتجاج على تصرفها، لم يكن حكراً على القوى المحافظة، بل أمتد إلى القوى السياسية التي كانت تشاركها الأهداف حيث رأى هؤلاء بتصرف علياء اسفافاً في التصرف، وبما يجعل الأخلاق المجتمعية مادةً للهجوم السياسي، غير أن علياء المهدي قررت التصعيد مع الجميع، لتذهب إلى حيث السفارة المصرية في أوسلو، ولتقوم بفعل التعري أمام الكاميرات، في حركة احتجاجية على الدستور المصري الذي أقره نظام الرئيس مرسي.

وكما جاء استهجان ضد فعل علياء المهدي، كان الاستهجان في تونس ضد التونسية أمينة، التي نشرت صورة جسدها العاري وقد كتبت عليه: «جسدي ملكي وليس مدعاة لشرف أحد»، لا بل إن الشيخ المسؤول عن «جمعية الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر» طالب برجم أمينة حتى الموت..

الفكرة الرئيسة التي حكمت توجه هاتين الناشطتين، نحو التعري كأسلوب احتجاج، لا تبتعد عن أفكار مؤسسة حركة «Femen»، التي ترى بأن «جسد المرأة كان وحتى الآن بيد الرجل، يستعمله كما تهوى له نفسه وفي مختلف المجالات، ونحن نهدف في هذه الحركة لاستعادة جسد النساء لتصبح ملكاً لهن مجدداً... أنا سعيدة لأن جسد المرأة لم يعد يستعمل على أغلفة مجلات بلاي بوي فقط، بل أن جسدها أصبح متمكناً من التعبير وإثارة الغضب من حوله.»

«إثارة الغضب»، أمر يختلف تماماً عن «التعبير عن الغضب»، هكذا يفكر منتقدو ظاهرة التعري، فبينما ينسجم الثاني مع سياق الاحتجاجات المطلبية والسياسية التي شكلت قوام الربيع العربي، والثورات السلمية في العديد من بلدان العالم، يصبح الأول حركةً مبنيةً على مناهشة السائد المجتمعي، الذي لا يختلف —على عكس ما يظنه البعض– بين المجتمعات الشرقية والغربية. ففعل التعري هو نقض للعرف، ولو لم يكن كذلك لما تحول إلى أداة احتجاجية، ولكن التعمق في جوهر الفعل يؤدي في الواقع نحو رؤيته بوصفه يكرس الفعل الأنثوي في المجتمع من خلال، وبالاستناد إلى الجسد، وبما يحوله إلى حالة نمطية، تعيد خطاب المساواة إلى دائرته الأولى، فجسد المرأة الذي حولته الميديا إلى سلعة تحوله «Femen» إلى سلعة ثورية، تنتهي فعاليتها حين يتم ستر تفاصيله، ولا يبقى إثر ذلك، سوى الصور التي تضاف إلى ما سبقها في ألبومات العري على الشبكة.

رسائل من سورية»...

أو دحض الرواية الإيرانية الرسمية

بيسان الشيخ

في إيران شبان يؤيدون الثورة السورية، أو على الأقل يعارضون مشاركة بلدهم في قمعها. في إيران رأي آخر غير ذلك الذي يدفع بالمقاتلين والخبراء والتقنيين إلى ساحات القتال بجانب نظام بشار الأسد. هذا ما وصلنا عبر «رسائل من سورية»، الموقع الإلكتروني الذي يعتزم ناشطون إيرانيون معارضون إطلاقه قريباً، وبدأوا به على شكل صفحة فايسبوكية، تسعى إلى تعريف الرأي العام الإيراني بما تقترفه حكومة بلادهم «الثورية» من قتل وتشريد باسمهم.

في إيران أصوات لا نسمعها غالباً، ولا تسمعنا، لأن السلطة نجحت إلى حد بعيد في إعلاء الصوت الواحد والرأي الواحد، ومنعت أي وسائل تتيح المعرفة غير تلك التي تمر عبرها. وإذ وجد الإيرانيون طرقاً للتحايل على القمع والمنع، فرفعوا على سطوحهم الصحون اللاقطة، وهي ممنوعة قانوناً، واخترعوا برمجيات تسمح لهم تصفح مواقع الكترونية محظورة، إلا أن ذلك بقي حكراً على مجتمع مديني، ينظر أصلاً بكثير من الانتقاد لممارسات السلطة. هذا، وما يَرْشَح في المقابل من إيران إلى العالم الخارجي، أقل بكثير مما يتيح معرفة دقيقة بها، وبأطياف الحركات الاجتماعية والسياسية فيها، فكما هي الحال في أي نظام توتاليتاري يقوم على ايديولوجية الحزب الواحد، ويسخّر المجتمع برمته لخدمة استمرارية النظام وبقائه، يعتبر بناء رواية واحدة متماسكة وتكرارها جيلاً بعد جيل، ركيزة أساسية في صياغة صورة النظام لدى جمهوره، ورسم أشكال الخطر «الخارجي» الداهم. وعليه، ومنذ ثورة ١٩٧٩ على حكم الشاه، بُنيت صورة إيران ودورها الـ «ما بعد ثوري» على ما أراد آيه الله الخميني، على حساب كل من شارك في الإطاحة بالشاه، بدءاً بالشيوعيين، وصولاً إلى أقرب المقربين إليه، فكان القتل والإعدام والتعذيب في السجون، والاختفاء القسري والنفي، وكل ما من شأنه أن يجعل البلاد كلها على نسق واحد.

وبهذا، تصبح الصحافة بكافة أشكالها، تقليدية أو حديثة، محلية أو أجنبية، واحدة من أدهى «المؤامرات» الخارجية، وأكثرها تهديداً لذلك التجانس القسري. هكذا، يسهل إلصاق تهمة التجسس، والخيانة، والإساءة إلى الذات الإلهية، والتسبب في وهن الأمة، وغيرها من الغرائب بكل من يعبّر عن رأي يخالف المتعارف عليه. والواقع أن تلك الممارسات بقيت هي السائدة، منذ قيام الثورة وحتى الأمس القريب. لم تضعف ولم تخبُ، بل إن أحدث ضحاياها (أو من علمنا بهم على الأقل)، هو الشاعر والناشط هاشم شعباني، الذي أُعدم شنقاً (في ٢٧ كانون الثاني/ يناير الفائت)، مع ١٤ آخرين، بعد تعرضه لتعذيب ممنهج طوال ثلاث سنوات هي عمر اعتقاله.

في هذا السياق المتشابه الى حد بعيد، تأتي «رسائل من سورية» التي تنشر بالفارسية والإنكليزية، صرخة مدوية في وجه النظام الإيراني، قبل أن تكون مؤيدة للثورة السورية بحد ذاتها. فهي إذ تهدف الى تقديم معلومات دقيقة ومستقلة للرأي العام المحلي، وعرض آراء متنوعة عن تدخل طهران المباشر في سوريا، تنقض بذلك الرواية الرسمية المتطابقة مع رواية النظام السوري، بأنها حرب ضد الإرهابيين، وأن مساهمة الجمهورية الإسلامية فيها لا تتعدى الاستشارة والتقنيات. تحاول تلك الرسائل أن تقول للمواطن الإيراني أولاً: إن بلده تشارك فعلياً في حرب تقوض اقتصاده، وتهدر موارده، وتستنزف شبابه، وأن ضحية القمع كما أداته، واحدة.. سواء في شوارع طهران، أو ميادين حمص وحلب. ولعل أهمية تلك «الرسائل» لا تكمن في أنها منحازة للثورة السورية فحسب، وإنما في أن أصحابها يسعون إلى البحث والتدقيق في الآلة الإعلامية والدعائية داخل إيران نفسها، لدحض مزاعمها بأخبار موثقة، بالاعتماد على شبكة من المراسلين في سوريا ولبنان وإيران، يعملون كـ «جيش إلكتروني» مضاد. والأهم من هذا وذاك، يبقى طرح أسئلة جوهرية على المواطن الإيراني حول تكلفة تلك الحرب عليه أخلاقياً، فبالإضافة إلى الكلف الاقتصادية والسياسية، تقول الرسائل إن هناك مسؤولية أخلاقية تجاه السكوت عن المشاركة في قمع شعب، بالطريقة ذاتها التي أجهضت

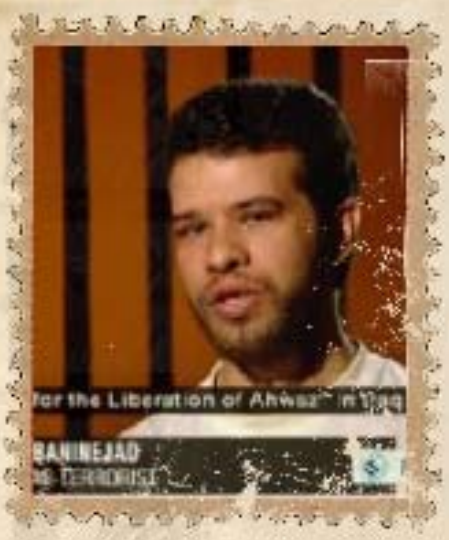

بها ثورة الإيرانيين أنفسهم في ٢٠٠٩، قبل فورة «الربيع العربي». كأن هناك من يقول للإيرانيين: إن حكومتكم، وإن صدق زعمها بأنها تكتفي بإرسال خبراء وتقنيين، فهي في الواقع تنقل خبرتها وتجربتها في كبح شعب يطالب بالانعتاق من حكم جائر.

في إيران أصوات مختلفة، أصوات كثيرة لا نسمعها ولا تسمعنا، نحن المختلفين أيضاً عن أنظمتنا ومن يمثلنا في إعلامها، أصوات كمثل تلك المترجمة التي أشفقتْ عليّ بعد ترددي لثلاثة أيام متتالية إلى وزارة الإرشاد في طهران، حيث يعتمد الصحافيون الأجانب، ورفض الجميع العمل معي. لم أفهم حينها، والبلاد على أبواب انتخابات رئاسية فاز فيها محمود أحمدي نجاد بولاية ثانية، لم قد يحدث ذلك؟ لكن مترجمتي قالت لي لاحقاً، وقد نشأ شيء من الود بيننا، «لا أحد يريد العمل مع لبنانيين... أنتم أصدقاء نظامنا، والناس هنا تعتقد أن مواردنا مسخرة لخدمتكم وقتالكم إسرائيل، فيما نحن نجوع». صعقني ما سمعت، فأنا أيضاً كنت أعتقد أن الإيرانيين جميعهم، أو بأغلبيتهم التي بقيت في الداخل، هم على صورة حكامهم. لذا فإن تلك الرسائل التي تأتي من سوريا إلى إيران، وإن تأخرت بعض الشيء لتبديد سوء الفهم الشخصي والاجتماعي ذاك، إلا أنها تلبي حاجة ملحة لكلا الطرفين، بفتح معابر بينهما، بموازاة تلك الجسور الرسمية، على أن يأتي يوم يحمل فيه ساعي البريد إلينا أيضاً... «رسائل من إيران».

على مشارف آذار

غالية قباني

نُسأل منذ ثلاث سنوات عبر الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي: ماذا عنت لك الثورة كي تدعمها، وما الذي غيرته فيك؟

في الحقيقة لطالما كنت أنا وأصدقائي نرثي حال مجتمعاتنا ونحذر من الخراب الذي عشش فيها، ونعتقد أن الإصلاح والتغيير «لن يكون على زماننا».. فهو أبعد من حلم نتخيله. وعندما بدأت الثورة في سوريا على يد أطفال درعا الذين فضحوا عري الإمبراطور وقالوا له من دون مواربة إنه لا يرتدي الثياب بل وهم الثياب، أدركنا في اعتراف متبادل لاحقا أننا تشاركنا دهشة الحدث المستحيل، والذي حدث «على زماننا»..

أعيش بعيداً عن سوريا منذ سنوات طويلة، بسبب إيقاع يسيطر على كل مناحي الحياة. لم أتمكن من مسايرته في الحياة اليومية، وفي العلاقة مع مؤسسات فاسدة مترهلة، ومع عدد متزايد من البشر أقلموا أنفسهم مع الفساد والانحطاط الأخلاقي وشرعنوه بطريقة باتت لا تتناقض مع أخلاق أو تديّن. كنت أراقب كيف يهيمن القرار الأمني على القانون، وموظف الأمن على موظف القضاء والشرطة والمعلم والأستاذ والصحفي. الفساد بكل صوره صار أسلوب حياة في سوريا، وما عاد كثيرون يأبهون بمن يعتقل أو يعذب أو يختفي أو «يهجّ»، يدارون خوفهم بتجاهل ما يحدث حولهم. وفي كل زيارة، كنت أرى كيف ينهار القانون لصالح الأمن ورجاله، وتنحدر كرامة الناس إلى أدنى مستوياتها قياساً بوعي البشر لأنفسهم في العصر الحديث، حتى فقدت الأمل بأن شعبي سيستعيد تلك الكرامة، ويتجاوز حالة الخوف التي لمّح لقصور فيها البعض من غير السوريين معرّضاً بجبن هذا الشعب، خصوصاً بعد أن سبقته شعوب تونس ومصر وليبيا.

لكنه لدهشتنا جميعاً.. فعل ومنذ تلك اللحظة تغيرت في هذا الشعب أشياء كثيرة، وبدأ يستعيد ملامحه وقدرته على تغيير مصيره بنفسه.

لم يتغير السوريون فقط..أنا أيضاً تغيرت. لم أعد الإنسانة نفسها قبل آذار ٢٠١١. مثلهم أنا استعدت شجاعتي وخلعت عني ثوب الخوف والمذلة، استعدت خلاصة شخصيتي بعد أن تضاربت فيها الميول والرغبات والأفكار والمشاعر وهي محبوسة في صندوقها الداخلي، تطل برأسها خجلاً في مقالة أو قصة أو رواية، ثم تتراجع..

ومع انتفاضة شعبي حسمت خياراتي ومواقفي التي ما عادت تحت الاختبار. أشرقت شمس الحرية بالمعنى الحقيقي وليس ترديداً لكليشيهات استخدامناها نفاقاً.

لقد كشفت الاحداث عن معدني الحقيقي كما فعلت مع غالبية السوريين، حُسم الأمر وما عاد هناك من سبب لتبقى تلك المعادن مختبئة تحت أتربة الوقت. لكن وقتاً سيمر قبل أن نزيل عنها صدأ علق بها، مثل سوء الفهم الذي تراكم لسنوات بين مكونات الشعب السوري، مثل الشعور بالرغبة بالانتقام، والشعور بالغبن، وبأننا ضحايا لن تقتنع بسهولة بما يعوضها عن ثقل الأيام السابقة، وهو ما سيشوش علينا حياتنا قليلاً ويمنحنا بعض المنغصات لبعض الوقت قبل أن نتصافى حيال بعضنا البعض وحيال أنفسنا. ونقبل مفهوم المواطنة.

إنها رحلة طويلة أصدقائي لن تنتهي بسقوط النظام.. بل ربما إنها بالنسبة للبعض، ستبدأ معه.

التـربيَة البـعثيَّـة

غسان مرتضى

قلت لأصدقائي في أحد الحوارات: يجب ألا تكثروا من لوم المجتمع والناس والثوّار، فقد تربينا جميعاً في ظلّ النظام البعثي المخابراتي، وتغلغت ثقافته في عمق لاشعورنا، فاعترض أحدهم بالقول: أنا لست بعثيًّا، ولم أكن، ولم أحضر اجتماعاً من اجتماعات مسح الدماغ والتدجين البعثيَّة التي كنتم تحضرونها، فأجبته: لكنَّ ثقافة البعث لم تقتصر في يوم من الأيام على البعثيين، بل اجتاحت شرائح المجتمع وفئاته كافةً، إنَّها الثقافة التي لم تُكرَّس في الاجتماعات الحزبيَّة فقط، بل كُرِّست عبر الإعلام المرئي والمسموع والمقروء، وكُرِّست من خلال الدراما والرياضة وعدنان بوظو... وكُرِّست في الشوارع والمقاهي، وحتى في الجوامع والكنائس والمتاحف، والأهم من هذا وذاك أنَّها كُرِّستْ في المؤسسات التعليميَّة، ولاسيَّما المدارس الابتدائيَّة منها، كُرِّست في كتب اللغة العربيَّة والجغرافيا والتاريخ والوطنيَّة والقوميَّة... إلخ.

لم أكن أتصور عندما كنت أقول هذا الكلام، بماذا سأجيب لو أنَّ محدثي سألني: كيف كُرِّست في الكتب المدرسيَّة؟ واليوم وبينما كنت أراجع مع ابنتي مادة الاجتماعيات التي لا تُحتمل ولا تُطاق، أصبح لديَّ جواب أكثر وضوحاً عن تفاصيل الكيفيَّة التي اخترقت بها السلطات البعثيَّة ثقافة المجتمع عبر المدارس، سأتوقف عند حالة واحدة مأخوذة من منهاج الصف الرابع.

في مادة الاجتماعيَّات في الصف الرابع، هناك وحدة تتحدث عن الوطن، تتألف من خمسة دروس، يحمل الدرس الثاني عنوان (نظام الحكم في سوريا)، وعلى الرغم من محاولات (هيئة الشام الإسلاميَّة) التي طبعت هذا الكتاب بعد أنْ أجرت عليه كثيراً من التعديلات، كي تخفف من وطأة ما فيه من خبث ومكر وتجييش أيديولوجي، وعلى الرغم من كلّ ما قامت به هذه الهيئة مشكورةً، فقد بقي في الدرس المعلومات الآتية:

ثمَّة سؤال في أسفل الصفحة ١٢٢ صيغ على النحو الآتي: (لماذا يجب على المواطنين المشاركة في الاستفتاء على رئاسة الجمهوريَّة؟) ونجد تحت السؤال مباشرة مستطيلاً إيضاحياً باللون النهدي الفاتح كُتب فيه: «الاستفتاء الشعبي: هو سؤال الشعب عن رأيه في موضوع من الموضوعات، بناء على طلب من مجلس الشعب (البرلمان)، أو رئيس الدولة، أو رئيس الوزارة، أو طلب الشعب نفسه». ويحيل الكتاب هذه المعلومة على الموسوعة السياسية ج١، ط٣، ١٩٩٠. وبعد هذا التقديم التنظيري الذي لا يتناسب شكلاً ولا مضموناً مع مستوى طلاب الصف الرابع، تأتي الوجبة الدسمة المُراد زرعها في عقل التلميذ ولاشعوره تحت المستطيل مباشرة: «نظام الحكم في وطني سوريا جمهوري، يتمُّ اختيار الرئيس فيه عن طريق الاستفتاء الشعبي».

لم أطَّلع بطبيعة الحال على الكتاب الأصلي غير المعدل، لأعرف ما فيه من تجاوزات ومخاطر فعليَّة ظاهرة أو مضمرة، فقد حذفت الهيئة التي أصدرت الكتاب كثيراً من تلك الكوارث، لكنَّها مع ذلك لم تنتبه إلى هذه المعلومات الخطرة:

تتجلى خطورة هذه المعلومات من حيث الشكل أولاً وقبل كلّ شيء، في أنَّها تطرح سؤالاً محفزاً لم يصَغ بطريقة «هل يجب على المواطنين...»؟ بل صيغ بأسلوب «لماذا يجب على المواطنين...»؟ وكأنَّ عملية وجوب المشاركة في الاستفتاء أمرٌ حتمي أصلاً وغير قابل للنقاش، أمَّا ما هو قابل للنقاش فهو السؤال «لماذا»؟ ولا يجيب الكتاب عن السؤال، بل يترك للمدرس الذي يعرف ما معنى المخابرات والأجهزة الأمنية، أن يجيب، كما يتركه للأهل أيضاً الذين تربوا في وسط ثقافي سياسي يعتقد أنَّ للحيطان آذاناً، وأن اليد التي لا تستطيع حيالها شيئاً قبلها وادعُ عليها بالكسر.

تتجلى خطورة هذه المعلومات من حيث الشكل أولاً وقبل كلّ شيء، في أنَّها تطرح سؤالاً محفزاً لم يصَغ بطريقة «هل يجب على المواطنين...»؟ بل صيغ بأسلوب «لماذا يجب على المواطنين...»؟ وكأنَّ عملية وجوب المشاركة في الاستفتاء أمرٌ حتمي أصلاً وغير قابلٍ للنقاش

وبعد السؤال الذي يُفترض أنَّه يُشوّق لمعرفة المزيد، تأتي المعلومات في تدرج منطقي بصورة متتابعة، وتبدأ من المعلومة الثابتة نظرياً التي تُعرّف الاستفتاء اعتماداً على موسوعة علميَّة يُفترَض أنَّها ذات مصداقيَّة عالية.

يعرِّف المستطيل الاستفتاء وكأنَّ الكتاب يتحدث عن استفتاءات سويسرا أو النمسا، فيجعل لرئيس الوزراء أو للبرلمان أو الشعب سلطةً في طلب الاستفتاء على شيء ما، وكأنَّ الأمر في سوريا ليس محصوراً بالطاغية وأجهزته الأمنيَّة.

ثمَّ تأتي الطامَّة الكبرى مع المعلومة التي تسوقها هيئة التأليف بعد المستطيل مباشرة: «نظام الحكم في وطني سوريا جمهوري، يتمُّ اختيار الرئيس فيه عن طريق الاستفتاء الشعبي» لتكريس الفكرة الأساسيَّة المرجوة: إنَّ اختيار الرئيس يتمُّ عن طريق الاستفتاء،

والاستفتاء يعني أنَّ ثمَّة مرشحاً وحيداً فقط، وليس مهماً أنْ يعرف التلميذ الصغير هذه المعلومة المضمرة في هذه السن، لأنَّه سيعرفها لاحقاً عندما يشبُّ، ويذهب أو يُساق إلى صندوق الاقتراع بصورة احتفاليَّة، وقد تعلَّم جيداً أنَّ التساؤل عن وجود مرشح آخر للرئاسة، قد يُعرِّضه ويعرض أسرته لمخاطر لا تُحمد عقباها. المهم في المرحلة الابتدائيَّة (الصف الرابع) ترسيخ كلمة الاستفتاء، وترسيخ فكرة أن الرئيس يصل إلى سدَّة الحكم عن طريق الاستفتاء، وهي الطريق الدستوريَّة التي لا تقبل جدالاً.

الاستفتاء في اعتقادي كلمة شديدة الشبه في مدلولها بكلمة المبايعة المعروفة في موروثنا السياسي، ولذلك فإنَّ النظام الجمهوري السوري أصبح امتداداً للنظام الذي لا يعتمد الشورى بل يقوم على المبايعة ذات الطرف الأحادي، لذا ليس غريباً أنَّ وسائل الإعلام السوريَّة كانت تكرر بكثرة كلمتي البيعة والمبايعة، بوصفهما مرادفتين لكلمة الاستفتاء.

وهكذا تلغي المناهج الدراسيَّة من ذهن التلاميذ فكرة الاختيار من بين متعدد، تلغي المفهوم الأساسي لمصطلح الانتخابات، على اعتبار أنَّ هذا المفهوم ليس وارداً في ثقافتنا السياسيَّة الحديثة، ولم يكن وارداً في ثقافتنا السياسيَّة القديمة.

ويصبح الرئيس المفدَّى الرب الأعلى الذي نبايعه أو نُستفتى على رئاسته، ونحن لا ننتخبه، لأنَّ الانتخاب يقتضي اختيار واحد من عدَّة مرشحين، وبما أنَّه القائد الرمز الرب، فهو لا يمكن أن يكون واحداً من بين عدَّة، إنَّه لا يكون إلَّا وحده فقط دون منافسة أو منافسين.

ما أحوجنا الآن إلى تعديل هذه المناهج أو نسفها كلياً، وما أحوجنا إلى مناهج عصريَّة تخاطب أبناءنا بلغة القرن الحادي والعشرين. لكنْ وريثما يتمُّ لنا ذلك علينا أن نقول لأولادنا الذين سيسألوننا عن الاستفتاء الشعبي:

الاستفتاء الشعبي هو سؤال الشعب عن رأيه في موضوع ما، دون أن يكون له بدائل أو خيارات، وقد اعتمد المدعو حافظ الأسد هذا الأسلوب ليعزز في الوعي الجمعي فكرة القائد الرمز الخالد المُفدَّى، لذا لا تجوز المشاركة في هذه الاستفتاءات لأنَّها غير قانونيَّة وغير دستوريَّة، وتخالف أبسط مبادئ الحريَّة والديموقراطيَّة، بل تخالف أبسط مبادئ المنطق السياسي السليم.

السيـداو

لأهميتها، تقوم مجلة «سيدة سوريا» بنشر اتفاقية السيداو على أجزاء، بدءاً من العدد الثاني.

والسيداو CEDAW ، أو اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة معاهدة دولية تم اعتمادها من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة، وعرضها للتوقيع والتصديق والانضمام بالقرار ١٨٠/٣٤ في ١٨ ديسمبر ١٩٧٩. وتوصف بأنها وثيقة حقوق دولية للنساء. دخلت حيز التنفيذ في ٣ سبتمبر ١٩٨١.

الجزء الأول المادة (١): لأغراض هذه الاتفاقية، يعني مصطلح «التمييز ضد المرأة» أي تفرقة أو استبعاد أو تقييد يتم على أساس الجنس، ويكون من آثاره أو أغراضه توهين أو إحباط الاعتراف للمرأة بحقوق الإنسان والحريات الأساسية في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية أو في أي ميدان آخر، أو توهين أو إحباط تمتعها بهذه الحقوق أو ممارستها لها، بصرف النظر عن حالتها الزوجية وعلى أساس المساواة بينها وبين الرجل.

المادة (٢): تشجب الدول الأطراف جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وتتفق على أن تنتهج، بكل الوسائل المناسبة ودون إبطاء، سياسة تستهدف القضاء على التمييز ضد المرأة، وتحقيقاً لذلك تتعهد بالقيام بما يلي:

(أ) إدماج مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في دساتيرها الوطنية أو تشريعاتها المناسبة الأخرى، إذا لم يكن هذا المبدأ قد أدمج فيها حتى الآن، وكفالة التحقيق العملي لهذا المبدأ من خلال التشريع وغيره من الوسائل المناسبة.

(ب) اتخاذ المناسب من التدابير، تشريعية وغير تشريعية، بما في ذلك ما يناسب من عقوبات، لحظر كل تمييز ضد المرأة.

(ج) فرض حماية قانونية لحقوق المرأة على قدم المساواة مع الرجل، وضمان الحماية الفعالة للمرأة، عن طريق المحاكم ذات الاختصاص والمؤسسات العامة الأخرى في البلد، من أي عمل تمييزي.

(د) الامتناع عن مباشرة أي عمل تمييزي أو ممارسة تمييزية ضد المرأة، وكفالة تصرف السلطات والمؤسسات العامة بما يتفق وهذا الالتزام.

(هـ) اتخاذ جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة من جانب أي شخص أو منظمة أو مؤسسة.

(و) اتخاذ جميع التدابير المناسبة، بما في ذلك التشريعي منها، لتغيير أو إبطال القائم من القوانين والأنظمة والأعراف والممارسات التي تشكل تمييزاً ضد المرأة.

(ي) إلغاء جميع الأحكام الجزائية الوطنية التي تشكل تمييزاً ضد المرأة.

المادة (٣): تتخذ الدول الأطراف في جميع الميادين، ولا سيما الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كل التدابير المناسبة، بما في ذلك التشريعي منها، لكفالة تطور المرأة وتقدمها الكاملين، وذلك لتضمن لها ممارسة حقوق الإنسان والحريات الأساسية، والتمتع بها على أساس المساواة مع الرجل.

ذاكِـرةٌ مُثقلـةٌ بِالحـَرب

بيروز بريك

بقيت في ما سمّي «خدمة عسكرية إلزامية» سنة وتسعة أشهر، كان ذلك قبل ثماني سنوات، لم أشهد خلالها أيّة عمليّات قتاليّة، مع أنّ الطّيران الإسرائيليّ رُصِدَ مرّتين فوق المطار الّذي مكثت فيه، ودخلنا حينها في استنفار استعراضي، بقيت فيه مضادات «فولغا» و«بتشورا» المتهالكة – كعادتها – خرساء مستكينة، كما بقيت ذاكرتي معجونة بصور الدمار، والجثث، وكل متعلقات الحرب قبل أن أراها، أو أكون – على الأقل – قريباً منها !!!.

عاينتُ الحرب بتفاصيلها الحقيقية، بعد أن بلغت الثالثة والثلاثين، خلال تواجدي في الغوطة الشرقية بريف دمشق، عبر تنقلاتي المكثّفة بين دمشق، وحرستا، ودوما، ومناطق ومحافظات أخرى، إلى أن دخلتْ في أواخر ٢٠١٢ –بكل ثقلها– لمدينتي الصغيرة سري كانييه (رأس العين)، والتي تحوّلت ميداناً لإرادات دولية وإقليمية، وداخلية متضاربة، إذ نالها القصف، وعمّت جولات القتال الضّاري حواريها، وأزقّتها، وانهالت على سطوح منازلها القذائف، وسقط من أبنائها عديد الضّحايا.

ترهقني الآن حشود الصّور التي عاينتها عن قرب، أو وصلت إلي مصوّرة، أو على شفاه أصدقاء يشاطرونني تجارب مماثلة، بيد أني أعتبر نفسي مختلفاً عنهم أو عن معظمهم، إذ كنت مهووساً في طفولتي بالتقاط تفاصيل الحروب، ومتابعاً نهماً لصور الأسلحة والجنود بلباسهم الميداني، والأرتال، والخنادق، وآثار القصف، ومشاهد الجثث الملقاة في الأزقة التي عجّت بها الصحف، والمجلات، والكتب، التي كان أبي – رحمه الله – يملأ بها رفوف مكتبته في ثمانينيات القرن المنصرم وتسعينياته.

كنت أقلّب بتأنّ وشغف لا محدودين صفحاتٍ عشرات من نسخ المجلّات الفلسطينيّة واللبنانيّة إبّان حرب لبنان، وكتباً تحوي ملفّات عن فظاعات تشاركت في استنساخها أنظمة المنطقة وطغاتها المتباهين بالقمع، والقتل، والسحل، والتعذيب.

أمضيت ساعات متواصلة في القراءة والمعاينة والتهجئة أحياناً، يتملكني هوس الاكتشاف لأواصل التحديق فيما تحتويه تلك المطبوعات من أهوال، ربما كان أهلي غافلين عما شغفت به، أو راق لهم هدوئي بين الكتب، مفضّلين ذلك على سباحتي في غبار ملعب الكرة الترابي القريب.

لم أكن في عمر يجعلني أتذكر صبرا وشاتيلا التي جرت فصولها في حزيران ١٩٨٢، إلا أن التذكير بها وبأحداث أخرى لاحقاً، على صفحات الجرائد، والمجلات، وعلى شاشات التلفزيون، وعرض صور المجزرة المرعبة المتضمنة مئات الجثث المنتفخة من حر الصيف، جعلها تفصيلاً مهماً في ذاكرة طفل تغريه أشكال سبطانات المدافع أكثر من أفلام الكارتون، ولعب الدحل، وباقي ألعاب الصبية العنيفة.

أمضيت وقتاً ليس بالقصير أحدق في صورة فتاة مقنوصة في حرب بيروت الطويلة، ضمن مجلة بالأبيض والأسود أعيد تتبّع خيط الدم السائل من عنقها المنتهي ببركة متجمعة خلفها قرب الرصيف، أقارنها بالطفل فاغر الفم الذي خطفه الموت بالكيماوي في حلبجة، دون أن تسيل منه نقطة دم واحدة، وتوصلت إلى استنتاجات صبي صغير في الابتدائي مازال يذكر جيداً تزامن اغتيال مفتي لبنان مع تأنيب والده له لأنه قصر في «مذاكرة الرياضيات»، والسبب أنه استعاض عن فتح الكتاب المدرسي بتلقّف مجلّة في غرفة الضيوف استقرت على غلافها صورة شيخ يبدو عليه الوقار اسمه صبحي الصالح .

أمشاط الرصاص على صدور البيشمركة، وزوبعة القوميين السوريين خلف صورة سناء محيدلي، وبوسترات خليل الوزير، وشارب معصوم قرقماز، ودبابات ساحة تيانمين، وعمامة أحمد شاه مسعود، وبنادق الفدائيين الفلسطينيين، ورموز وإشارات وأعلام وأسماء ومتابعات لبرامج ما بعد الظهيرة على التلفزيون العراقي، الذي كاد أن يلفظ من شاشته الجثث المتساقطة

خاص سيدة سوريا– بيروز بريك

على جبهات الحرب مع إيران الخميني، لتغدو مشاهدتها متعة لا تقل عن «السندباد»، و«فلونة»، و«السيارة العجيبة»، كل هذا لم يتح للذّاكرة استظهار جدول الضرب كاملاً، أو أن تكتفي بأرشفة أهداف فريق البرازيل وحفظها عن ظهر قلب مع أسماء محرزيها.

في مراهقتي بتّ أكثر دراية بالتّفاصيل، وصرت اشتري الجرائد بنفسي، وأقرأ عن حرب البلقان، والتوتسي والهوتو في رواندا، وخذلان العالم لسربرنيتشا، وحصار سراييفو، والمقابر الجماعية، والقصف الروسي المركّز على غروزني، والاقتتال بين الأحزاب في كردستان العراق، سبق كل هذا إعدام دكتاتور رومانيا المرعب تشاوشيسكو على شاشات التلفزيون رمياً بالرصاص بعد محاكمة عاجلة.

رجال ونساء وأطفال يجلسون على شرفات منازلهم المتدرجة على الجبل الذي تقبع فوقه أزقة (حي الأكراد)، يراقبون الحوامات التي تناور في سماء دمشق الجنوبية، مطلقة صليات رشاشاتها وقذائفها على الضواحي، مشهد ذكرني بما كان يعرض يومياً على نشرات أخبار التلفزيونات التركية، حين كانت قاذفات الجيش التركي تقصف بشراسة، وانتظام جبال قنديل وشمزينان طيلة عقد التسعينيات وما بعده، ذكرتني أيضاً بالحمم المصبوبة على قرى الجنوب اللبناني من طائرات الجيش الإسرائيلي، حين كنت أتتبّعها واجماً على نشرة الثامنة والنصف على التلفزيون السوري، وفق تصادف يومي مع وقت العشاء.

الخرائط التي أنهكت التاريخ والجغرافيا هي من تصنع الحروب، وربما الحروب أيضاً تصنع الخرائط، وتحوم حول موائد القتل، والرصاص والدم، صور، ووثائقيات، وتدوينات، تروي قصص وتجارب وتفاصيل عن ملايين البشر.

ربما ساعدتني هذه الذاكرة المشحونة بالدّم والدمار والهوس بمفردات الحرب وصورها، أن أبدو متوازناً أكثر في ظروف عصيبة عشتها، كما لا أخفي أن أحاسيسي تبلّدت بعض الشيء تجاه المآسي والمحن، التي أصبحت زاداً يومياً، ومراً إجبارياً لحيوات البشر، المهدورة على أيدي قناصين عابثين، أو طيارين يفرغون براميل الحقد السوداء على رؤوس الأطفال.

الآلاف من البشر الراغبين في حياة أفضل، والساعين إلى تغيير ما حولهم، أو الطامحين للهدوء والسكينة، أردتهم الحرب من فوق صخورها الصماء، وكنا نحن ممن لا زال يحظى بفرصة العيش الفيزيقي— شهوداً على مصائرهم، نعاينها واقعاً ملموساً، أو صوراً، وفيديوهات، أو عبر مشافهات وأحاديث قد لا تعدو كونها مسامرة تترافق بأكواب النسكافيه.

تمرّ القصص محدثة أثراً عميقاً تارة، وقد لا نكترث بها تارة أخرى، بفعل الانشغال، أو الاعتياد، أو بفعل ذواكرنا المشحونة بتجارب مرهقة أو مستحيلة التوقع ضمن حالة اعتيادية، إذ إطلاق الرصاص علينا أثناء التظاهر، أو المرور بتجربة اعتقال، كان حوادث لها وزنها في أعرافنا وتقييماتنا، لكنها باتت الآن نثاراً من ذكرى، نستجملها وتحلو في مخيال من لديه القدرة على الكتابة والتعبير، نستصغرها أمام جسامة حوادث أخرى، كإزالة أحياء كاملة من الوجود، أو محاصرة مدن ليقتات سكانها على ما تعافه النفس البشرية، أو تحوّل مدن وبلدات وقرى أخرى خرجت من سيطرة النظام، إلى وضع تستولي فيه قوى ظلامية على مقاليد الأمور فيها، لتعيد إنتاج القمع، والقهر العاريين، تحت بواعث كـ«تحكيم شرع الله في الأرض» أو «معاقبة المرتدين».

الخرائط التي أنهكت التاريخ والجغرافيا هي من تصنع الحروب، وربما الحروب أيضاً تصنع الخرائط، وتحوم حول موائد القتل، والرصاص والدم، صور، ووثائقيات، وتدوينات، تروي قصص وتجارب وتفاصيل عن ملايين البشر، تلهب الذاكرة الجمعية والفردية لشعوب ارتهنت لقرارات الحكومات والساسة المتنازعين، والمحتكمين لشهوة عمياء تنشب مخالبها الصماء في ذواكر البشر قبل مصائرهم.

تفاصيل عابرة..

سمر علوش

زمن

بينَ أوراقِ العمر..
في الساعةِ الثامنة والثلاثينَ تماماً..
أتذكّرُ الآنَ لسعاتِ العقارب..
رجفةً.. رجفة...
ثم أدورُ حولَ معصمكَ..
علّي أستعيدُ بعضَ الوقت..
وأوقظُ الكثيرَ من الحياة.....

حرب

وماذا بعد...
لملمَتْ أوراقَ الخريفِ.. ماتبقّى من ذكرياتِ الشارع..
واستلقَتْ متعبةً على أرصفتِه الكهلة..
وأنا هناك...
أحصي الشهداءَ في نهايةِ اليوم...
أحاولُ، دونَ جدوى، تنظيفَ جدرانِ الزمنِ.. من دمي الذي لايهمُّه...
لأموتَ بكاملِ الكبرياء...
ليُقالَ أيضاً:
كان زمناً عاهراً دونَ أدنى شكّ.....

وطن

الوطن...
رسالةُ اللهِ إليك..
أنشودةُ بيتِكَ الحاني.. تكرّرُها على مسامعِ الكونِ
حينَ يسكُنُكَ الصقيع...
المفتاحُ الذي تحملُه روحُكَ دوماً لبوابةِ الصباحِ العصيَّة..
تفاصيلُ ضحكتكَ الغائبة..
وجنونُ موتكَ الحاضر...
مأساتُكَ المشردةُ على عَتَباتِ الأيام..
وربيعُكَ الذي تورّث انتظارَهُ لأبنائك...
الوطنُ.. حفنةٌ من السّحرِ تضيء كفّي..
لأمسحَ بها وجهَ الحياةِ القادم..
علّها تقومُ كَمَسيح.....

أعياد

على أبوابِ الأعوام..
تهزمُني الريحُ...
وحيدةً إلّا من عينيكَ الطيبتين،
بعيدةً إلّا عن حنانِ أصابعِك..
شقيةً إلّاك...
التجاعيدُ خطّتْ ذكرى مرورِها
على الماضي.. هناك،
والريحُ.. الريح،
الريحُ وحدَها تكتبُ اسمي على شبابيكِ الشتاء..
فأنا التي منحَتْها شهاداتِ انتصارِها جميعاً
بقلبٍ أزرقَ
اتّسعَ لخطايا الكونِ
وغطّى صوتَ أنينِه بالغفران...

أبواب

الغرباءُ لايتقنون لغةَ الأبواب...
لايصافحون دفءَ ملامحِها..لايمسّون عبقَ حكاياتِها...
لايرسمون قمراً في لياليها الموحشة..
ولا يتركون أثرَ مرورِهم عليها، أو بعضَ روحِهم في وداعِهم لها...
الغرباءُ... يغادرون دوماً مهما طالتْ زيارتُهم.....

شهداء

ذهبوا واحداً تلوَ الآخر..
لم يأخذوا معهم قطعةً من الغيمِ
الذي حلموا به..
لم يمسحوا اللونَ الأحمرَ
عن أجسادِهم
وعيوننا...
ذهبوا فقط..
تاركين وراءهم قاموساً من المعجزاتِ..
معجزاتٍ سيبقى غيابُهم
جرحاً نازفاً فيها....

الترحال

هيفارون شريف

لم يكن ليلاً
ولكنْ همْتُ وحدي، أسرقُ العشقَ وأطيافَ الأماني
بينَ أسرابِ الحمام

فوقَ تلّ من رمادِ الذكريات
صبايا
يختلسْنَ الشوقَ همساً
من شفاهِ الأمسيات
وأمامي
راح يشدو تائهاً بين الحقول
جدولُ الصمتِ الحزين
وبقايا من جراحِ الضيقِ نشوى
ودروبٌ...
عن يميني...
تتعرّى، كجذوعٍ من نخيل

كانَ يمشي، واحتراقُ الشفتين
يرسمُ القبلةَ وشماً عجرياً
فوقَ ثلجِ الضفّتين
صار يهذي...
ونسيمُ االفجرِ أغراهُ الشّفق
هزَّه الوجدُ، فصلّى
لربيعِ الكأسِ والنُّدمان لثماً
وتراتيلَ عبق
جلَّ هذا السحرُ يا فجرُ، وحسبي
أنني أعصرُ خمري بجنونٍ
كانبهارِ الحلمتين

ذات شوق
راح ضوءُ الصبحِ يصحو
شهوةُ الرمانِ أفقٌ
ودموعُ الفلِّ فوحٌ
ذات شوقٍ

لمّ أنفاسَ الندى
نرجسُ العينين صمتٌ
وصهيلُ الوجدِ بوحٌ
آه ياهذا المدى بينَ الغصون
كيفَ أغوتني صباحاً
حبةُ التوتِ الشهية
كحساسينِ البراري
تنقرُ القلبَ وتصدح
وعلى السفحِ فراشاتٌ حيارى
ترشفُ الشهدَ بزهوِ السُّكرِ
ريّا تترنّح
وبقربِ الجُرفِ ظلٌّ
لصبيٍّ وصبية
هدَّني الترحالُ ياقلبُ.. وعنّاني السهر
ونزيفُ الروحِ عنوانُ شجوني
من صدى الآهاتِ موالُ أحتراقٍ
أضلعي الناي.. وشرياني وتر

خيط الشمعة..

أيمن الأحمد

ترتجف يدي، ونحيب طويل يمد رأسه في صدري، هو ذا باب المنزل والجرس ذاته، أرفع يدي ببطء أتأمل آثاراً لتشوُّه الأصابع، أضغط الجرس فيرتدُّ الصوت من بعيد ..

إفراج ....

رنَّ الصوت في كلِّ أرجاء الرطوبة وكل السواد الملتحف في العيون بدا كمرج أخضر حتى صرير المفاصل أصبح أكثر ليونة من صدأ السنوات العشر.

ثمانية أيام بعد زواجنا وغبت عنها، كانت كفيلة أن تلقي بي هواجس كريهة.

أصوات تمخر فجيعة الظلام تتمايل مثل جنيات الكهوف البعيدة:

– امرأة في مقتبل العمر ... وأكيد أنها ....!!

– لكنها تحبني ولم تطلب الطلاق مني طيلة تلك السنوات

– لكنها بشر .... مشاعر

– هي لن تفعل ما يقتلني مرتين شاركتني أحلامي ... قصائدي .. وأفكاري ..

كنا نحلم بحياة أفضل، نسابق الموسيقى الجميلة بالفرح والدهشة، نعدُّ لأيامنا القادمة أولادنا برائحة العصافير ..نغني لبياض نوايانا، ونؤمن بطهارة الشموع ونحن نزين بها شوارع الظلمة المحيطة بنا... هي أبداً لن تفعل ما يقتلني..

بخار الذاكرة هذا كان مثل تأنيب الوقت الضائع، حيث لا ظل للشمس في مآقينا، والنهار ما عاد يزور عظامي إلا ساعة التنفس العفنة، حتى حلم النافذة لم يعد له نكهة البدايات، عندما أيقنت أن تلك النافذة تطل على ظلمة أوسع ..

ما عاد التصور يتسع لابتكار غابة من الشموع على قيد الحلم

ما عادت تغريك سيرة الخبز ولا سهول الجوع ..

صار باهتاً هذا الفراغ ومكرَّراً وأنت تنحت له الأشكال من حواف الرغبة.

هل نجحت تلك الظلمة في محو ألوان قصائدك ؟.. أم أنك استدركت قيمة الزمن المطروح من عمرك الفائت وهذا المخنوق في داخلك هل كان يشبهك يوماً ما؟

عندها بدأت تعد الأشياء من حولك دون أن تطرح سؤالاً على قيد الخلاص...

هل فاتك القنديل بدواعي الحيطة والملل؟ أم إن بذرة الجبن قد زرعتها الظلمة في رحم هواجسك القلقة؟ أو ربما هو فوات العمر الأجمل ...

لكنك كنت دائماً تفتح من بين ركام الصمت سؤال المعنى ! عناوين اللصوص ذاتها تستذكر أسماءهم، تقلّب صورهم، تعد أنيابهم، ثم تكفّن ضحاياهم....

لتجلس مرة أخرى تحت شجرة التوهم تلك :

حينها كانت عيناي –كالعادة – مشغولتين بلمّ فتات الضوء من بين أصابع أحد الحراس وقف أمامي بتلك الجملة :

– هذا من زوجتك ،...أعطاني خيطاً أبيض ....ثم غادر!

ظلت تلك اللحظة مشدوهة أمامي طيلة تلك السنوات.... فرحت أحتضن الخيط براحتي أياماً طويلة أشمه أداعبه بأصابعي ثم أربطه حول معصمي هكذا إلى أن أطبق أجفاني على تلك الأيام المزدانة بالشموع:

كنا عدداً من الأصدقاء جمعنا البحر والتوق لسماء جميلة تتسع لأحلامنا.

اخترنا لعبة الأسئلة تلك ، لنسامر وقت البحر الشارد ، كنت أراقب عيونها بشغف غريب ، فاجأتني بسؤالها عن العيون ..

– ما العيون ؟ ما أجمل ما فيها ؟

– العيون لغة لا تعرف الكذب ... أجمل ما فيها بياضها أو ربما عندما نحتوي من نحب بألوانها بذلك الدفء...

وعندما ابتسمت عيناها صار لزاماً عليها – حسب قواعد اللعبة – أن تحقق ما تطلب منها ..

عندها اخترت أن تشعل لك شمعة ..

بانت غمازتان مقتربتان بطفولة من الشفاه المبتسمة وهي تشعل بيديها الصغيرتين كبياض القرنفل الشمعة لك

– «أتحب الشموع أم البحر» ...قالت لك

– «أحب الضوء» ...قلت لها

فجأة أفتح جفني كالمذعور، وكأنني تذكرت شيئاً وأنا أصرخ :

– «أيها الصوت النتن لم يعد لك صدى في صدري هي ذي تبعث بإشارة هي تنتظرني حتى لوعدت جثة، هيه ... هيه ، هي لن تخونني... تلك العينان لا يمكن أن يغادرها الطهر»

ينفتح الباب ..

حاملاً .. ضوء وجهها الدافئ

– يا الله ذات العينان الوحشيتان...مازال بياضهما كدهشة لقائنا الأول.

تعانقني برجفة وشهقة عارمة..تمسك بوجهي بين راحتيها المتعبتين تتأملني بدموعها..تشمني... ، فيهتز رأسي ثم أدفن وجهي في صدرها كطفل كان غائباً عن أمه، وأنتحب طويلاً عن ذلك الضوء المرتجف في العيون ... حطب الانتظار العفن .. والدمع المكبوت حسرة ... عن كل خطاي العابرة ذلك السجن: وهي تلملم أقدامي القتيلة من حواف العمر الخائب...

ترفع رأسي لتمسح وجعي، ولتترك لحظة الفرح بالعبور على لحظتنا .. فأتلمس شعرها الذابل، أحاول جمع شتات حنيني، أبتسم لعينيها وأرفع معصمي أمامهما :

– أكثر ما كان يجعلني على قيد الضوء عيناك وخيط الشمعة هذا ... تحتضنني ..

– خيط الشمعة ... أي خيط !؟

مكتب الرئيس

علاء الدين زيات

ثمة أوراق على الطاولة، خطط مختلفة وموازنات، أرقام مرتبة في جداول، فتاحة رسائل على شكل حصان، ونصلها من قرن وعل مشحوذة بعناية ساموراي.

على الطرف اليساري كتابان اثنان؛ السيرة الذاتية للوالد الحنون في الأعلى، ودستور البلاد في الأسفل، وأمامهما في الجهة ذاتها دواة حبر مذهبة، جف حبرها منذ أن بدأنا نستخدم الخرطوش.

على الجدار صور مختلفة الأحجام، أكبرها صورة صاحب المكان، ثم بالتتابع أب وأخ وصورة للعائلة، وفي الدرج السفلي إلى اليمين صور الأعمام والأخوال، وزملاء الدفعة الثانوية والعسكرية والجامعية، موزعة على ألبومات، ومهورة بعبارة سري جداً.

الحائط الجانبي فارغ، ورق الجدران فضي معرق بعروق سوداء، مما يمنح إحساساً مفرطاً بالرسمية أقرب لدار المسنين، والحائط الثالث تتوسطه صورة كبيرة لسيدة تبتسم بالكاد.

خلف كرسي المكتب ثمة برواز حديدي يؤطر خارطة سوريا، لكأن الإطار يشي بأشياء كثيرة، لكن الصورة ذاتها جميلة، سوريا الجغرافيا الهادئة، حيث لا سكان على الورق يصخبون ويهتفون ويشتكون، سوريا صامتة ساكنة بكل محافظاتها، ليتها كذلك!

نسيت في الدرج العلوي الأيمن ثلاثة أشياء هامة: مدونة في سجل العهدة للحاجب المسؤول عن النظافة، مسدس مع مخزنين، وقناع الغازات الواقي وهو أمريكي الصنع، وحقيبة الإسعاف الفردية مع مجموعة إضافية من الأتروبين، سيكون صعباً العيش في مكان لا تتوافر فيه هذه الثلاثية.

الخزانة الخشبية بأبوابها الزجاجية المعشقة بالبرونز تحوي عدة بدلات مدنية وعسكرية، وأحذية هي الأخرى مدنية وعسكرية مصفوفة بانتظام تام، وعلى رأسها حذاء دورة الأركان، يبدو كآمر صف لباقي الأزواج، فهو الوحيد الموضوع بالاتجاه المغاير.

زجاج الطاولة ممسوح بعناية فائقة، والمخمل الأخضر أسفله يمنح إحساساً بالربيع، ما من بطاقات أطباء ولا بائعي الفروج المشوي، ولا حتى بطاقات رؤساء آخرين أو لائحة أرقام الهواتف المهمة، ولا العملة الورقية المنسقة، نظافة تامة للطاولة المصنوعة من خشب بلون الكرز، وكأنها قدمت منذ ثوان من مخازن الشركة البريطانية الصانعة.

نسيت شرح نظام الهواتف؛ هنا كان إرثاً ذلك الهاتف الأسود الألماني بقرصه الذي يصدر خشة دافئة، لذا احتفظ بمكانه على الطاولة كسيد للمكان، وإلى جواره عبيده من سوني وسامسونج وسيرونيكس التي ترمقه بحسد كبير.

أسفل الطاولة لابد من أنكم لاحظتم إغفالي لهذا الجزء — سأشرح همساً– هناك عدة أزرار، وهي مزودة بنتوءات تكشف دلالاتها، بحيث يدرك السيد ما الذي يضغطه باللمس، للحاجب زر، ولرئيس المكتب زر، وللحرس الشخصي زر، وللإنذار العام زر، وزر أخير نافر بشكل استثنائي يفتح كوة في الجدار إلى مصعد يفضي الى الطابق الثالث تحت الأرض.

كل هذه الفوضى في الخارج تغيب مع الاقتراب من حواف السور ، لتصبح الأشياء منتقاة بعناية صائغ؛ لون البوابة الخارجية، شارات التحذير من الاقتراب والتصوير، الشبك المكهرب، الأسلاك المخفية والواصلة لأجهزة التحسس بالحركة والحرارة، وتشغيل مرشات ترطيب النجيل، كل ذلك يشي أن تحالفاً دولياً مخلصاً للاحتراف المهني مكث هنا طويلاً وعاين كل تفصيل، كيف لفوضى الإدارات والعبث والفساد الغارق المغرق أن يضمحل على أعتاب هذه البوابات؟ بقي السؤال المحير معلقاً، وسيبقى كذلك إلى لحظة اكتشاف ثغرة البرمجة، أو ربما لحظة تسريبها حين يجد محترفو الإنشاء أن المكتب صار أوسع من صاحبه.

للمكتب ذكريات بل ذاكرة بلد كاملة، حيث إن هرماً مستدقاً أقرب لمسلة مصرية كانت سوريا وما تزال، كل ثقل الحياة ومصادرها، جنة الموعودين وجحيم دانتي هنا مع ضغطات الأزرار المختفية أسفل المكتب، هذه المسلة هي نموذجنا للحكم، وعلى الكل رضّعاً ونساء ومسنين ورجالاً، تدعيم قاعدتها لتبدو أكثر استقراراً. وطن بكل جلائه مثقوب بمسلة واحدة، هو أقرب لكعب أخيل ما إن ترميه عليك توقع حجم الكارثة.

وإذن هل من عصر قادم نورث طلاب المدارس ذلك الكرنفال الأمريكي، حين تمر الرحلات المدرسية المختارة عبر البيت الأبيض، لتشاهد حلم المكتب البيضاوي، قابلاً للمس والتذوق والانشغال به، هل ثمة طلاب إعدادية من مدن وأرياف سوريا سيتاح لهم هذا البذخ والاقتراب دون شارات منع، والتصوير دون زجر، ودون سلك مكهرب، ودون حراس دانتي ودون ضغطات زر أسفل المكتب، وبخاصة ذلك النافر المودي إلى القبو الثالث؟

ليس من إجابة بنعم، والمسلة تلك ماتزال تثقب قلب البلاد.

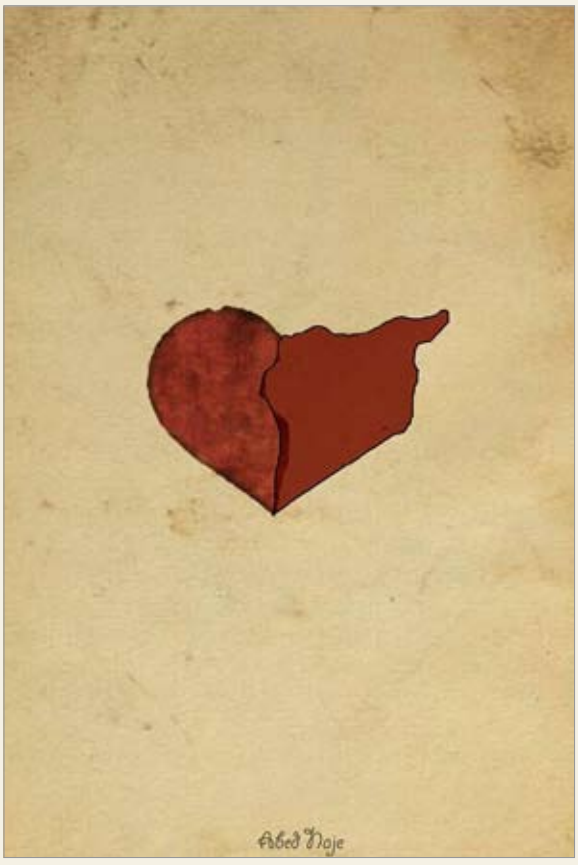
Abed Noje

valentine's day
Syria 2013

(67*40*18)cm bronze Ronak Ahmed